تجليات الأنا والآخر
في عامريات ابن دراج القسطلّي

د/ محمد حلمي البادي
أستاذ الأدب الأندلسي المساعد
كلية الآداب- جامعة كفر الشيخ

ملخص البحث

سعت هذه الدراسة جاهدة إلى تقصي حضور ظاهرة الأنا والآخر في عامريات ابن دراج القسطلي، وحاولت أن تستقرئ أهم ملامحها وتفاعلاتها وتداخلاتها عبر ثلاثة محاور رئيسة، تناول المحور الأول ظاهرة الأنا الشعرية منفردة تارة، حيث اعتمدت على أنا الواقع والطموح والمعاناة والاعتزاز، ومتحدة تارة أخرى مع الآخر القريب، حيث الزوجة والأولاد والحاكم العامري؛ ممدوح الشاعر، وكونت معها علاقة ثنائية.

ثم نهض المحور الثاني بالآخر العربي، حيث جسد ابن دراج صورة الحاكم العامري (المنصور) من حيث النسب والحسب ووصف قدراته العسكرية، فكان نموذجا للحكام المسلمين ومثالا لهم، ثم وصف جيشه وجنوده وأسلحته ومعداته العسكرية.

وأخيرا قام المحور الثالث بتصوير الآخر الأجنبي(ملوك إسبانيا النصارى في شمال الأندلس) والصراع الذي دار بين الحاكم العامري وهؤلاء الملوك، وما أسفر عنه من معارك دامية كانت دائما في صالح المسلمين، أو توافد السفراء الأجانب على المنصور طلبا للصلح والمهادنة.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين؛ سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فإن الأدب العربي عموما، والشعر على وجه الخصوص يتمتع بخصوبة مادته، وتعدد الدراسات النقدية حوله، ولا تزال هذه الدراسات مستمرة، لأن الأدب لا يُعرف له نهاية، ولا يَكتفى بيسير، ومن هنا حاول هذا البحث أن يدرس جانبا من شعر ابن دراج القسطلي وخاصة عامرياته التي تعد من أجود وأروع ما نظم، ولا سيما ما توجه به من مديح إلى المنصور بن أبي عامر وولديه؛ عبد الملك المظفر وعبد الرحمن شنجول.

وتعد هذه العامريات ذا مكانة عالية في شعر ابن دراج لما تتمتع به من قصائد تروي حكاية شاعر طموح سعى إلى المجد الأدبي والحياة المادية، وقائد فذٍّ تربع على عرش السلطة في قرطبة، وانتصارات متعددة على ملوك النصارى في شمال الأندلس، ولذا جاء هذا البحث ليدرس هذه العامريات في شعر ابن دراج التي تعد سجلا تاريخيا وأدبيا لحضارة الأندلس في تلك الفترة تحت عنوان" تجليات الأنا والآخر في عامريات ابن دراج القسطلي".

والبحث يتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع، أما المقدمة التي بين أيدينا فقد ألقت الضوء على سبب اختيار العامريات في شعر ابن دراج لاستجلاء صورة الأنا والآخر من خلالها، معتمدة على منهج تحليلي وصفي؛ يرصد الظاهرة ويقوم بتحليلها ووصفها.

وأما التمهيد فقد ألقى الضوء على حياة ابن دراج وشعره في صورة موجزة، وخاصة العامريات التي يدور حولها البحث. وجاء المبحث الأول بعنوان:" صورة الأنا واتحادها بالآخر العربي" ليكشف عن ذات الشاعر ومدى تعلقه بأسرته وممدوحه، وبروز الأنا في عامرياته وتنوعها بين الواقع والطموح والمعاناة والألم والعزة ، واتحادها بالزوجة والأولاد والحاكم العامري.

وتناول المبحث الثاني " صورة الآخر العربي" ممدوح ابن دراج القسطلي في العامريات، وهي صورة الحاكم النموذج والقائد المثال والبطل المغوار من حيث النسب والحسب والشجاعة والإقدام والفروسية والجهاد ووصف الجيوش العامرية وتنوع آلات الحرب.

وجاء المبحث الثالث ليلقي الضوء على" صورة الآخر الأجنبي" الذي يعد (آخر) بالنسبة للأنا في المبحث الأول، والآخر العربي أيضا في المبحث الثاني، ليرصد صور الممالك الإسبانية المسيحية وملوكها وقوادها وسفرائها في شمال الأندلس.

ثم جاءت الخاتمة لترصد أهم النتائج التي توصل إليها البحث، متبوعة بأهم المصادر والمراجع التي أفاد منها الباحث.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة قد أفادت من عدة تجارب رصدت جوانب عدة في تجربة ابن دراج الشعرية، ولعل من أهمها: مقدمة ديوان ابن دراج للدكتور محمود مكي، عامريات ابن دراج القسطلي لوسام قباني، و صورة الآخر في الشعر العربي للدكتور فوزي عيسى، و التجربة الشعرية عند ابن دراج القسطلي للدكتور محمد دواليبي، و أطروحة الاغتراب في حياة ابن دراج وشعره للباحثة روضة بلال المولد.

وأخيرا أرجو أن ينال هذا البحث القبول والرضا، فإن تحقق له ذلك فلله الحمد والثناء ، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني اجتهدت والله المستعان.

تمهيد

أبو عمر، أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دراج، ولد في قسطلة دراج من عمل جيان عام 347ه في أسرة عظيمة تنتمي إلى قبيلة صنهاجة البربرية، وعلى الرغم من ذلك فإننا لا نلحظ بربريته في مدائحه لعلي بن حمود وابنه يحيى وأخيه القاسم، ومن ثم يمكن أن نقول: إنه أندلسي خالص.

أما عن فترة نشأته وصباه فلا تمدنا كتب التاريخ عنها شيئا، والغالب على الظن أنه تردد على مجالس الشيوخ والعلماء فحفظ القرآن وتعلم اللغة والأدب والفقه، ثم تطلعت عيناه إلى قرطبة، مركز العلم والأدب، كغيره من الشعراء ليحقق مجدا أدبيا وحياة مادية هانئة، فرحل إليها قاصدا المنصور العامري، تاركا وراءه أسرة فقيرة.

التقى ابن دراج بالمنصور العامري ومدحه بأولى قصائده عام 382ه فأعجب بها وأثبته في ديوان الكتاب والشعراء، ثم توطدت العلاقة بين الشاعر وممدوحه طيلة عشر سنوات مدحه خلالها بأروع ما نظم من قصائد، كما شاركه في بعض غزواته، وسجل انتصاراته المتعددة، ثم استكمل مسيرته بعد وفاة المنصور مع ولديه عبد الملك المظفر وعبد الرحمن شنجول.

ولما حلت الفتنة البربرية ببلاد الأندلس مكث ابن دراج ينتظر انقشاعها أكثر من ثلاث سنوات، فلما لم يجد نتيجة اضطر إلى الرحيل عن قرطبة فقصد علي بن حمود حاكم سبتة، ولكنه سرعان ما عاد مرة أخرى إلى دويلات العامريين بالأندلس(المرية وبلنسية وشاطبة وطرطوشة) ما بين سنتي 404- 408ه.

ثم اتجه ابن دراج بعد ذلك إلى سرقسطة حيث بلاط التجيبيين بعد رحلة من التنقلات، وفي بلاط التجيبيين يعود ابن دراج مرة أخرى إلى الإبداع وإنشاد الشعر في المنذر التجيبي وابنه يحيى، وتسجيل معاركهما مع نصارى الشمال ، وفجأة نجد ابن دراج يغادر سرقسطة لسبب لا نعلمه، فربما قد ضاق بها، وتوجه إلى دانية حيث مدح أميرها مجاهدا العامري وظل في كنفه حتى وافته المنية عام 421ه.

هذه لمحة سريعة عن حياة ابن دراج القسطلي ويمكننا أن نقسمها إلى خمس مراحل، المرحلة الأولى وهي مرحلة الطفولة والصبا وهذه لا نعرف عنها شيئا، ثم مرحلة الطموح وإثبات الذات في كنف العامريين، وفيها بلغت شاعريته قمة نضجها، ثم أخذ يتنقل بين سبتة والإمارات العامرية عقب الفتنة البربرية وفيها ركدت ينابيع شعره إلى حد ما، ثم مرحلة الإبداع مرة أخرى في بلاط التجيبيين، وأخيرا يستقر به قطار الحياة في آخر محطاته حيث مجاهد العامري أمير دانية وفيها يلفظ أنفاسه الأخيرة عام421ه.

أما العامريات فيقصد بها تلك الأشعار التي نظمها ابن دراج في حكام الدولة العامرية(المنصور وولديه) من سنة 382- 399ه، وقد روى فيها كثيرا عن نفسه(الأنا) كما تحدث عن زوجته وأولاده، وكيفية الارتباط بالمنصور بن أبي عامر حتى مثلت هذه العامريات سجلا حافلا بكل أحداث العصر التاريخية والأدبية والسياسية في ذلك الوقت.

أعجب ابن دراج ببطولة المنصور(الآخر) العربي ورأى فيه صورة الحاكم المثالي والقائد الذي يقدم نفسه فداء لوطنه في سبيل انتشار رقعة الإسلام، فرصد لنا لوحات حية تنبض بالبطولة

والفداء، وكيف لا؟ والمنصور كان نسيج وحده في صقعه، آية من آيات الله فطرة دهاء ومكر وسياسة، جاهد النصارى في شمال الأندلس(الآخر الأجنبي) فلم يكسر له سيف ولم تنكث له راية، ولم يهزم قط، وكأني به ينادي صروف الدهر: هل من مبارز؟، فلما لم يجده، حمل الدهر على حكمه فانقاد له وساعده.

المبحث الأول
صورة الأنا واتحادها بالآخر العربي

لقد كان لعلماء النفس والفلسفة السبق في موضوع (الأنا) ، وعنهم أخذ نقاد الأدب فشكل حضور الأنا ظاهرة أدبية في الشعر العربي استرعت اهتمام النقاد والدارسين معا، فـ(الأنا) - باختصار شديد- يقصد بـها في معاجم اللغة: الضمير المفرد الذي يخص المتكلم، وجاء وصفه في اللسان بأنه لا تثنية له إلا بـ(نحن)..قال الجوهري: وأما قولهم: أنا فهو اسم مكنى، وهو المتكلم وحده،[1] أما المعجم الأدبي فيرى أن (الأنا): شعور يبرز الذات بشكل طاغ بحيث ينشط الفنان في ضمن دائرة لا تتعدى حدود شخصيته، مشيحا بوجهه عن أمالي البيئة التي يعيش فيها، أو متخذا منها إطارا مجملا أو مشوها[2].وهناك تعريف فني أشمل من سابقه يسوقه صاحب المعجم الأدبي أيضا، حيث يقول إن (الأنا):" شعور بالوجود الذاتي المستمر والمتطور بالاتصال مع العالم الخارجي والاختبارات والتثقف، ثم بالتأمل والاستبطان. وهذا الأنا هو مركز البواعث والأعمال التي تؤقلم الإنسان في محيطه، وتحقق رغباته، وتحل النزاعات المتولدة عن تعارض رغباته.[3]

و(للأنا) معان كثيرة سواء في المنظور الفلسفي أو في المنظور النفسي، فقد توصل الفيلسوف (كانت) إلى مصطلح (الأنا الخالص)[4]، حيث يطلق على ما يهيم به الفرد من أفعال معتادة ينسبها إلى نفسه؛ أنا قلت، أنا فعلت....إلخ

وأما فرويد فقد ربط (الأنا) بالشخصية، حيث قسم الشخصية إلى ثلاثة فروع؛ الأول (الهو) ويمثل الجانب اللاشعوري في الشخصية[5]، والثاني (الأنا) التي تمثل الجانب الواعي من الشخصية، كما أنها تمثل حلقة الوصل بين ذات الفرد والعالم الخارجي[6]، والثالث(الأنا الأعلى) وهي تمثل الجزء الضابط للسلوك في الشخصية الإنسانية، ويركز على القيم والمبادئ الإنسانية[7].

أما (الآخر) فهو الغير، والعلاقة معه ضرورة من ضرورات الوجود، ولذا يقرر هيدجر أن الوجود بدون الآخرين هو نفسه صورة الوجود مع الآخرين.... فكما أنه ليس ثمة (ذات) بدون العالم، فإنه ليس ثمة (ذات) بدون الغير، والآخر هو ما رسمته الأنا، ولا يمكن تحديد العلاقة بينهما، فهي متنوعة بتنوع الرؤى والمواقف والتجارب التي يخوضها الشاعر[8].

وإذا استعرضنا الأنا في عامريات ابن دراج وجدناها تتأثر بأوضاع داخلية مصدرها الذات التي تتعلق بالماضي أو تقلق من المستقبل، أو تتأثر بأوضاع خارجية تصطدم بها، ومن ثم فـ (الأنا) في شعر ابن دراج قد تكون متألمة حزينة للواقع الذي تعيشه، وقد تكون متطلعة إلى عالم أفضل وأرحب، ولديها طموح لمجد أدبي وحياة مادية أحسن من واقعها.

والمتأمل في شعر ابن دراج القسطلي وخاصة عامرياته يجد صورة الأنا واضحة وقد توحدت في الآخر منذ أول قصيدة قالها بين يدي المنصور بن أبي عامر، حيث يقول:[9]

وللهِ عَزْمِـــي يَـــومَ وَدّعْـــتُ نُفُوسَاً شَـجَانِي بَيْنُهَا وشَجَـــاها
نَحْـــــــــــــــوَهُ عزيزٌ عَلى قلبي شُطُـــــوطُ
ورَبَّـــــةُ خِـــدْرٍ كَالجُمَـــــانِ نَوَاهـــــا
دُمُوعُـــــــها على النَّأْيِ تَذْكَارِي خُفُوقَ
وَبِنْـــتُ ثَمَـــانٍ مـــا يـــزال حَشَـــاهـــا
يَرُوعُنـــــــي مَنُوطَاْ بِحَبْـــــــلَيْ عَاتِقَـــــيَّ
وَمَوْقِفُهـــا والبَيْـــنُ قـــد جَـــدَّ يَدَاهـــا
جِـــــــدُّهُ تَرَامَتْ بِرحـــــلي في البـــــلاد
تَشَـــكَّيَ جَفَـــاءَ الأَقـــرَبِينَ إذا فَتَاهـــا
النَّـــــوى عزائـــــمُ كفٌّ
بُنَـــيَّ إليـــكِ اليـــومَ عنِّـــي العامـــــــــــريِّ مداهـــا
فإنـــــــها

فالأبيات ترصد هوية ابن دراج (الأنا) من خلال الواقع الأليم الذي يعيشه ، فهو مسئول عن أسرة كبيرة فقيرة، وكذلك من خلال انتمائه إلى أسرته والتوحد بها، وهذه العلاقة التوحدية بين ابن دراج وزوجه وابنته تدر عليه عطاء كف المنصور، فانطلاق الشاعر من محور الذات يجعله قلقا وخاصة أنه عايش تلك الصورة قبل أن يصل إلى بلاط المنصور، فأيهما يفضل: البقاء مع أسرته على حالة الفقر أم الرحيل وإن قاسى مرارة البين والفراق من أجل المجد الأدبي والحياة المادية لأسرته؟. إن هذا الصراع الذي دار في فلك الأنا ينحصر بين (أنا الواقع) و(أنا الطموح)، فالذات الواقعية هي ما عليه الشخص، والذات المثالية أو الأسمى هي ما يطمح إليه، وفي النهاية تنتصر الذات المثالية أو(أنا الطموح) لما توفره (كف العامري) من تحقيق ما يصبو إليه الشاعر.

فإذا كان الحوار بين الشاعر وزوجته خارجيا إلا أنه يكشف في الوقت نفسه الحوار الذاتي بين الشاعر ونفسه، فهو متعلق بأسرته ولذلك نلمح الصراع بين أنا الواقع وأنا الطموح، بين أنا التخوف والحذر من مغبة الرحيل وبين إثبات الذات والتغلب على المصاعب من أجل تحقيق الأهداف والغايات.

إذن فقد لمحنا اتحادا بين (أنا الشاعر) وأسرته من خلال الصدق والمشاعر الفياضة المتناقضة وهنا نستطيع أن نقول إن (أنا الشاعر) قد ذابت في ذوات الآخرين وخاصة أسرته التي استطاع بمهارة فائقة أن يسبر أغوارها مع ذاته، ويقدمها لنا على أنهما كل واحد أبى الدهر إلا أن يفرق بينهما، فهو" يغوص في أعماق نفسه ونفوس أسرته، ويبين فيها جوانب مظلمة خلفتها ظروف السفر والعوز والقهر ، فهو يتحدث عن أسرته وتجاربها في المعاناة والقلق والاغتراب، ويرصد آثارها العميقة في نفوسهم، ونظرتهم التي ملئت تبرما وتشاؤما من حياة لا تعرف الطمأنينة والاستقرار"[10]. أما هو فقد تحمل عبء السفر والنوى من أجل أسرته الفقيرة.

ولما كانت العلاقة بينه وبين أسرته حميمة، إلا أن الغربة قد طالتها، فإن الشاعر راح يذكر ذلك، ويرصد لحظة الوداع في عاطفة مكلومة، نحس خلالها بذات الشاعر أو (أنا) الألم والمعاناة، يقول:[11]

تُخَوّفُنِـي طولَ السِّـــــــــــفَارِ وإنَّهُ لِتقبيلِ كفِّ العامِـــــــــــرِيِّ سَفِيرُ
ولمَّـــا تدانَـــــــتْ للوداعِ وقد هَفَـا بصَبرِيَ منها أَنَّةٌ وزفيـــــــــــرُ
تُناشِـدُنِي عهدَ المـــــــودَّةِ والهوى وفي المهدِ مَبْغومُ النِّداءِ صغيرُ
وطار جَنَاحُ الشوقِ بي وهَفَتْ بها جوانِحُ من ذُعْـــــرِ الفِراقِ تطيرُ

إنها لوحة فنية رائعة ترصد لنا ما دار بين الشاعر وزوجته أثناء الوداع، حيث تخرج الكلمات منها محملة بالأنين مطالبة إياه بألا ينسى ما كان بينهما من مودة وهوى، ولكي يزيد الموقف

تأثيرا في المشاهد يجعل معها في هذا المشهد أصغر أبنائهما، وهنا يتأزم الموقف، فهذا العنصر الآخر(الطفل الصغير) يتميز بفاعلية ناشطة تدفع بالموقف والحدث إلى الأمام " فهذا العنصر ليس خارجا عن ذات الشاعر، بل هو تعبير عن مشاعرها التي يعجز الشاعر عن الإفصاح عنها، أو يعبر عنها بغاما حتى لا تفهم مع إدراكه لها، فهو خبير بموقع أهواء النفوس، وكيف لا وهو يعرف كنهها، وقد تبوأ مكانا لا يقدر أحد على اكتناه أسراره، وتنتهي المواجهة بعدم الاستجابة لضعف النفس، وضرورة عصيانها، وما دامت النفس ضعيفة فهي تحتاج إلى ما يبعدها عما يوقظ هذا التردد، فاستعار الطيران بجناح الشوق وسيلة للمواجهة التي يلقى فيها أول ما يلقى ذكر الفراق الذي يكاد يعصف بالنفس"[12] ، فاتحاد الأنا بالآخر في هذا المشهد المفعم بالألم يجعلنا نشاهد فنا رائعا رسمه ابن دراج في تلك اللوحة مما جعل الشقندي يقول عنها:" وأنا أقسم بما حازته هذه الأبيات من غرائب الآيات، لو سمع هذا المدح سيد بني حمدان لسلا به عن مدح شاعره الذي ساد كل شاعر".[13]

ويتصارع أنا الواقع مع أنا الطموح ممثلا في زوجته تارة، وبنتيه تارة أخرى، حيث يحسم القضية ويحاول إقناعها بالتحلي بالصبر لأن (أنا) الطموح تداعبه:[14]

أَلَمْ تعْلَمِي أنَّ الثَّوَاءَ هو التَّوى وأن بيوتَ العاجزينَ قُبورُ

وفي خطابه لابنته نلمح ما يماثل خطابه لزوجته: [15]

وأَنَّى لها مَثْوى أبيها وقد دعَتْ بوارقُ كفِّ العامريِّ أباها
بُنَيَّ إليكِ اليـــــومَ عنّي فإنـــها عزائمُ كفّ العامريِّ مداها

وتتجلى علاقة الأنا (الواقع) متمثلة في طاعته لزوجته، والآخر (الطموح) من خلال حيرة الشاعر بين طاعة الزوجة وطاعة المنصور، وفي النهاية تنتصر طاعة المنصور على الرغم مما يكابده من أشواق نحو زوجته: [16]

أُجَاهِدُ الصَّبْرَ عنْها وَهْيَ غَافـــــلةٌ عن لَوعةٍ في الحَشا منها تُناجيني
يا هذهِ كيفَ أُعْطِي الشَّـوقَ طاعتَهُ وهذه طاعةُ المنصـــــورِ تَدْعونـي؟
شُدِّي عليَّ نجادَ السيـــــفِ أجعلُـهُ ضجيعَ جنبٍ نَبا عن مضجعِ الهُون
رَضِيتُ منها وَشِيكَ الشَّوقِ لي عِوضـــاً وقلتُ فيها لِلَوْعـاتِ الأســـى: بِيني
فإنْ تَشُجَّ تباريحُ الهـــوى كَبِـــــدِي فقد تعوَّضتُ قُرْباً منكِ يأســـــــوني
وإنْ يُمِتْ موقفُ التوديعِ مُصْطَـبَرِي فأَحْرِ لي بِدُنـــوٍّ منكِ يُحْيِيـــــــني

فالشاعر يجاهد نفسه ويغالبُ شوقه ولوعته التي تحاصره وتغريه بالبقاء إلا أن الصوت الآخر هو الأعلى نداء، ولذا يجب عليه أن يستجيب له، وينصاع لأوامره دون تردد. فابن دراج يبذل قصارى جهده لينشل أسرته من الفقر والضياع، وخاصة أنه متعلق بجميع أفراد أسرته تعلقا شديدا حتى ولو أدى ذلك إلى التفريط في كرامته وعزة نفسه، وهذا يتضح في (أنا المعاناة والهموم والألم) من خلال الأبيات الآتية التي يريق فيها ماء وجهه متذللا طالبا العون والمساعدة : [17]

وأنَّى لَهُمْ في ماءِ وَجْهِـــــيَ تاجـرٌ أُغنِّمُهُم غُنْمِي وأُرْبِحُهمْ خُسْرِي
وخِزْياً لوجهٍ هان في صَوْنِ أَوجُهٍ كَريمٍ بهم رِبحي لئيمٍ بهم تَجرْي
ولولاهم لمْ أُبدِ صفحـــةَ مُعْـــــدمٍ ولم أُسْمِعِ الأعداءَ دعوةَ مُضطرّ

فابن دراج ينطلق من تجربة ذاتية، يتوسع فيها ويوليها اهتماما بالغا، فهو" يميل إلى تحليل المعنى وبسط الفكرة وتوسيع جوانب الصورة...فهو لا يجمل ولايركز، ولا يكتفي باللمسة السريعة ولا اللمحة العابرة، وإنما يفصل ويحلل ويبسط ويوسع ويستطرد ويستوعب.."[18].ولعل استغراق الشاعر في التفصيل والتحليل حينما يتحدث عن أسرته ناتج عن إفراغ شيء من همومه ومعاناته، فهو في كثير من الأحيان يستدعي أسرته ليثير همومه وأحزانه معبرا عن حالة الأنا التي يعيش فيها، ومن ثم فلا مناص أمامه من التخلص من (أنا) الواقع والبحث عن (أنا) الطموح ليتخلص من معاناته وهمومه وأحزانه بالتغرب والرحيل بحثا عن معيشة هانئة وحياة آمنة مستقرة، حيث يقول مخاطبا زوجته:[19]

دَعِيني أردْ ماءَ المفاوزِ آجناً إلى حيثُ ماءُ المكرماتِ نَميرُ

وقبلها يقول:

ألمْ تعلمِي أن الثَّواءَ هو التَّوَى وأن بيوتَ العاجِـــزينَ قبورُ

فالحديث عن الزوجة في أغلب شعر ابن دراج إنما هو يعكس حديث نفس الشاعر(الأنا)" فنحن لا نلمح فرقا بين زوجته التي تتداخل مع ذاته وبين نفسه، فحديث الزوجة هو حديث النفس في جانبها الضعيف المتردد الذي يحذر المجهول، والذي لا يستطيع أن يواجهه إلا بمحاولة عزل نفسه عنه.. فقوله: ألم تعلمي، ولم تزجري، تخوفني، دعيني، كل هذا يصلح أن يكون خطابا للنفس التي تداخلت مع الزوجة واتحدت بها" [20].

وإذا كان ابن دراج يريق ماء وجهه من أجل أسرته التي تمثل ذاته وكيانه فإنه في كثير من الأحيان نلمح اعتزازه بنفسه والفخر بها وخاصة عندما يتحدث مع حساده عن موهبته الشعرية وتفوقه على أقرانه ومن ثم فإننا نلمح (الأنا) المعتزة في عامرياته ولا يخفى ما وراء ذلك من اعتداد بالنفس واعتزاز بها، وهذا ما نعنيه هنا بنظر الأنا أو الذات إلى مرآتها بشيء من التعالي على الآخر الذي قد يتمثل في أي طرف يعنيه الشاعر ويقصده، وهذا النوع من الشعر الذي يمجد الأنا هو شعر الفخر والاعتزاز إذ" يتغنى فيه الشاعر بنفسه أو بقومه انطلاقا من حب الذات كنزعة إنسانية طبيعية...فالإنسان بطبيعته يحب ذاته ويتأمل نفسه كثيرا، ويقارن بينه وبين غيره من الناس". [21] ، والعربي دائما ينزع بفطرته إلى العلاء، ويميل إلى التعالي والمباهاة. [22]

وقد سجل ابن دراج في عامرياته اعتزازه بـ (الأنا) أو الأنا المعتزة وذلك من خلال أبياته التي يتغنى فيها بذاته معتزا بشاعريته وموهبته التي أراد حساده أن يعروه منها، وذلك في قوله: [23]

وكَيف أظْمَأُ وبحْري زاخـــــرٌ فِطَنـاً إلى خيالٍ من الضَّحْضَاحِ قد نَضَبَا؟

فإن نَأى الشكُ عني أو فها أنـذَا مُهيَّأً لِجَلِـــيِّ الخُـــــــبْرِ مرتقِـــــــــبَا

فالشاعر يعتز بموهبته الشعرية، ومن ثم يفتخر بهويته الأدبية التي ستفند مزاعم الحساد وادعاءاتهم :[24]

ويُرِيكَ صدقَ مواردي ومصادري إبطالُ ما اختلقَ الحسودُ وما زَعَمْ

وأحيانا نجد ابن دراج يعتد بنفسه ويفتخر بتفوقه ليس في مجال الشعر فحسب، وإنما في مجال الكتابة أيضا، حيث يخاطب المنصور قائلا: [25]

إنْ شئتَ أمْلَي بديعَ الشعرِ أو كتبا أو شئتَ خَاطبَ بالمنثورِ أو خَطَبَا

وهكذا تبلغ الأنا عند ابن دراج أوج عظمتها، حيث يمجد ذاته، ويفتخر بموهبته الشعرية، ويحقر ما يبدعه الآخرون مهما عظم شأنهم. ومن ثم فهو شديد العجب بذاته الشاعرة الطموحة والمغامرة في الوقت نفسه.

وأما علاقة (الأنا) الشاعر بـ(الآخر) الممدوح فقد تجلت هي الأخرى في كثير من قصائد ابن دراج ومقطعاته حيث برزت قضية التوحد بينهما؛ أي التماهي بين الشاعر وممدوحه، حيث غدت (الأنا) سائرة في مضمار المجد مع الآخر الممدوح، ولذا نجد ابن دراج يزهو بعلو شأنه وينظم دررا ثمينة في فضائل الممدوح، ولعل ما قدمه المنصور إلى الشاعر من صنائع هو الذي أوحى له بهذا المعنى: [26]

حاشا لِقَدْرِكَ أنْ أُزْجِي الثناءَ له دَعْوىً وأُهدى إليه الدُّرَّ مُغْتَصَبا

لكنَّها هِمـــــــــمٌ أنْشَأْتَـــها نِعماً تشَاكَهَا بنفيسِ القدرِ فاصطحبا

وإذا كان ابن دراج قد أنعم على أميره بدرره الجياد فإن المنصور قد أنعم على ابن دراج بالعطايا والهبات، ومن ثم نجد اتحادا بين (أنا) الشاعر، و(الآخر) الممدوح، حتى تساويا معا، فأصبحت فعال الشاعر وفعال الممدوح في ميزان واحد، حيث نراه يقول: [27]

والعَدْلُ في حُكْمِ المكارمِ والعُلا أنْ يُشفَعَ الإنعامُ بالإنعـامِ

فلَأشكُرَنَّكَ أو تَجِـــــيءَ مَنِيَّتِـي ولأَرْجُونَّكَ أو يَحمَّ حِمامي

ولما كان ابن دراج أميرا في القريض والإقدام وحب المغامرة فإن المنصور أمير في البطولة والحروب والغزوات، وهنا تقترب صورة (الأنا) الشاعر من صورة(الآخر) الممدوح، فيقول:[28]

أميـــــرٌ على غَوْلِ التَّنَـــائفِ ما لـــــــــهُ إذا رِيعَ إلاَّ المَشْـــــــرَفِيَّ وَزِيـرُ
فَقُدْنِي لكشفِ الخَطْبِ والخَطْبُ مُعْضِلٌ وكِلْنِي لليثِ الغابِ وَهْوَ هَصُورُ

إن ثمة علاقة عاطفية ربطت بين (الأنا) الطموحة الهاربة من الفقر والعوز، والآخر(الممدوح) الذي أغدق عليها وحقق لها ما كانت تحلم به، وهذه العلاقة قد تجلت في حب الممدوح والعرفان بجميله، حيث يفصح ابن دراج عن خالص مودته وحبه للمنصور قائلا: [29]

واللهُ يَشْهدُ أنَّ بينَ جَوانِحِـي نفساً رجاؤُكَ في صَميمِ فُؤادِها
لو قارعتْ عند الخلائقِ كلَها غلبتْ عليكَ بشـــكْرِها وَوِدادِها

فمحبة الشاعر لممدوحه فاقت محبة الخلائق جميعا، وفي لوحة أخرى من لوحات ابن دراج نراه يعبر عن فيض محبته لأميره البطل الذي يخاطر بحياته ويقتحم الوغى مغامرا بحياته من أجل النصر، يقول: [30]

نَفْسِي فِداؤُكَ والنُّفوسُ هَفَتْ بها نارُ الوغى وتصادمَ الأجبـالُ
والبِيضُ تلمعُ والأسِنَّةُ تلْتظِـــــي والخيلُ في ضنكِ الوَغى تختالُ

وابن دراج واثق من موهبته الشعرية وقدراته الإبداعية وفنه السامي الذي أخرجه لنا بعد أن غاص في بحور الأدب وأخرج لنا منها دراته، حيث يقول:[31]

إليكَ جلوتُ أبكارَ المعاني مَعَاذِيرا بلألاءِ القَبُـــــولِ
سَوَارٍ في الظلامِ بلا نجومٍ هوادٍ في الفلاةِ بلا دليلِ

أو قوله وقد اتخذ من قصائده قوة تعادل قوة ممدوحه، فجودة شعره تقابل عطاء ممدوحه، حيث يقول: [32]

بكرائـــمٍ لم تُمْتَهنْ، وعَقائـــــلٍ لم تُمْتَثَلْ، ومصونةٍ لم تُبتذل
حملتْ بها أمُّ العلومِ وأرضعتْ من درِّ أخلافِ الربيـــعِ الحفَّل

إن المتأمل في عامريات ابن دراج يجد الشاعر قد عاش في كَنَف أميره وتقلب في نعيمه، وهذا يجعل الأنا تفسح المجال للآخر، بل وتستمد قيمتها ووجودها من وجود الآخر(الممدوح) الذي يبلغ بعطاياه شأوا عظيما تدور في فلكه ذوات الآخرين، ولذا نجد ابن دراج يحمد ممدوحه ويثني عليه لكثرة عطاياه التي رفعت شأن الشاعر وجعلته في مكانة عالية، فانظر إليه وقد كشف عن الآخر(الممدوح) المنعم والمعطي: [33]

وصِلاتُكَ اتَّصَلَتْ مع الأيـــامِ لي حتى عَدِمْتُ بِهِنَّ آثـــارَ العـدَمْ
ورَفَعْنَ ذِكْرِيَ في عبيدِكَ فاعْتَلى ونَظَمْنَ شَمْلِيَ في جِوارِكَ فانتظَمْ

وعندما يظلم ابن دراج ويحس أن ممدوحه سيتغير عليه نجده يلح في إيجاد الحجج والبراهين التي توحي بظلمه، فكم من شاعر كبير وقف الوشاة والحساد في وجهه كامرئ القيس والأعشى وهما من أكابر الشعراء في العصر الجاهلي: [34]

ولَسْـــتُ أوَّلَ من أَعْيتْ بَدَائـعُهُ فاستدعتِ القولَ مِمَّنْ ظنَّ أو حسِبا
إنَّ امْرَأَ القيسِ في بعضٍ لَمُتَّهَمٌ وفي يديهِ لـــــواءُ الشـعرِ "إنْ ركبا"
والشِّعْرُ قد أسَرَ الأعشى وقيَّدَهُ خُبْراً وقد قيل و"الأعشـــى إذا شَربا"

ومهما وقف الحساد في طريقه فهو قادر على الظفر والنجاح، فهاهو ينجح في الامتحان الذي عقد له بمعارضة بائية صاعد البغدادي، حيث نراه يفتخر بنجاحه وأنه لم يقصر في ميدان الارتجال: [35]

وَدَسّـــسُوا لي في مَثْنى حبائلِـهم شَنْعَـــــاءَ بِتُّ بها حرَّانَ مُكْتئِبا
حتَّى هَزَزْتُ فلا زندَ القريضِ كبَا فيما لديَّ ولا سيفَ اليدينِ نَبا

ومع وجود الآخر (الحاسد) الذي أشار إليه ابن دراج في الأبيات السابقة نجده يتمكن في بلاط المنصور، ويباهي بشعره ونثره مبرزا (الأنا) في أوج عظمتها، فهو قادر على النثر والكتابة والخطابة اقتداره على الشعر: [36]

إن شِئتَ أمْلَي بديعَ الشعرِ أو كتبا أو شِئْتَ خَاطبَ بالمنثورِ أو خَطَبَا

وفي لوحة أخرى من لوحات علاقة الأنا (الشاعر) بالآخر (الممدوح) نجد الامتزاج بينهما قد وصل إلى شأو بعيد، حيث يكثف الشاعر من وشائج المودة بينه وبين أميره بعدما سعى الوشاة بينهما، فنراه يكثر من أسلوب الاستفهام الاستنكاري، وتمتزج أنا الواقع حيث المعاناة والفقد مع أنا الحلم حيث التشوق إلى النموذج المثال، وتبدو أنا المعاناة أكثر بروزا حيث الخوف من المجهول: [37]

أَأُسَرُّ دُونَكَ بالحياةِ؟ وكمْ يدٍ لك بشَّرتْنِي بالحياةِ؟ وكمْ؟ وكمْ؟
أقريرةٌ عينِي بعيـــشٍ لا أرى فيه سُيوفُك في عداتِك تحتـــكمْ؟
أمُكَلّلٌ وَجْهي ووجهـُــك بارزٌ لشَبا الأسنةِ والهَواجِرُ تضْطَرِمْ؟
إنّي إذنْ لكفورُ أنْعُمِك التي صرمتْ حبالَ الذلِّ مني فانصرمْ

وهكذا تجلت نزعة الأنا في عامريات ابن دراج، فوجدناها تتردد بين أنا الواقع والطموح والخوف من المجهول والمعاناة والألم والحزن والعزة والاعتداد بالنفس، وقد اتحدت مع الآخر الذي تنوع بتنوع الموقف والرؤية، فكانت أسرته تارة وحساده تارة أخرى وممدوحه تارة ثالثة.

المبحث الثاني

صورة الآخر العربي

تأتي كلمة (الآخر) في معظم المعاجم العربية بمعنى (غير) كما في لسان العرب كقولك: رجل آخر وثوب آخر[38]، كما يتفق مع هذا المعنى ما جاء في المعجم الوسيط حيث يعني بالآخر: أحد الشيئين ويكون من جنس واحد، وبمعنى غير[39].

أما الدراسات الأدبية والنقدية والإنسانية بصفة عامة فقد انطلقت جميعها من مبدأ (الغيرية) أي الغير المقابل للذات أو الأنا، وانطلاقا من هذا يبدو" اختلاف الآخر باختلاف موقف الأنا منه، مما يشير على أن صورة الآخر على هذا الأساس هي عبارة عن مركب السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد ما أو جماعة إلى الآخرين الذين هم خارجها"[40].

وتتمثل صورة الآخر في هذا المبحث في الحاكم الذي يرمز للقوة والإرادة الصلبة والعقيدة القوية، إنه المنصور بن أبي عامر الذي قال فيه ابن دراج القسطلي ملاحم من الشعر والبطولة، فكان نموذجا للحاكم المثالي، والقائد الحربي، ومن ثم مثلت شخصية المنصور (الآخر) العربي المحور الرئيس لعامريات الشاعر الجهادية، ولم لا؟، والمنصور قد خرج على رأس جيشه أكثر من خمسين غزوة دون أن يفل له جيش أو تنكس له راية.

وإذا كانت عامريات ابن دراج تقوم على المدح فإنه " مدح لا يقوم فقط على الطمع والرغبة- وأي امرئ شاعر أو غير شاعر تجرد منهما؟- وإنما المصدر الأول فيه هو شعور قوي من الإعجاب لشخصية الممدوح"[41]، ومن ثم فإن شعر ابن دراج في الدولة العامرية- كما يقرر الدكتور مكي محقق الديوان- يعتبر من أروع ما نظم وأحقه بالتقدير، ولا سيما ما توجه به من مديح إلى المنصور"[42].

وابن دراج الذي مدح المنصور بن أبي عامر بأكثر من ثلاثين قصيدة ليكشف في هذه القصائد صورة الحاكم النموذج والقائد البطل الذي حاز أعلى درجات القوة والعظمة، فمن حيث النسب والحسب فإنه ينتمي إلى أسرة عربية عريقة، حيث يقول ابن دراج: [43]

تخيَّرهُ الرَّحمنُ من سَرْوِ حِمْيَرٍ فنَاضَلَ عنه باتكُ الحدِّ قاضُبُه

أو قوله: [44]

سليلُ الملوكِ الصِّيدِ من سَرْوِ حِمْيَرٍ توسَّطَ في الأحسابِ سَمْكَ ذُرَاها

أو قوله:[45]

مِنَ الحِمْيَرِيِّينَ الذَّينَ أكُفُّهُم سَحَائِب تَهْمِى بالنَّدَى ونُحُورُ

فهو كما يقرر المراكشي " معافري النسب وأمه تميمية "[46] ، وأما أسرته التي ينحدر منها فقد حازوا سيادة الأمة بسيوفهم فاعترفت لهم الدنيا بملكهم، حيث يقول فيه: [47]

قمرٌ توسَّطَ من منَاسِـــب يعْرُبٍ قِمَمَ السَّناءِ وذِرْوَةَ الأنْسَـــــابِ
صَدَقَتْ به في اللهِ عَزْمَةُ مُخْلِـصٍ تركتْ ذَمَاءَ الشِّرْكِ رَهْنَ ذَهَـابِ

فالمنصور(الآخر) قد حاز ذروة النسب العربي، وقد قرن هذا الحسب والنسب بقوة العقيدة، وإرادة الجهاد، حيث كان أكثر الحكام تلبية لنداء الدين والوطن، فهو وأجداده قد عزوا الدين بانتصاراتهم، وأحرزوا ملك الأرض بقوتهم، يقول: [48]

يابْنَ الأُلَى لم تعْصِ طَاعَةَ أمْـرِهِمْ "عادٌ" علي أولي الزمـــانِ ولا"إرَمْ"
رَفَعُوا رِواقَ الملكِ في أرمَاحِـــــهِمْ حتى اسْتكانَ الدهرُ والدُّنيـــا لهُمْ
ولو أنَّهُم شَامُوا السيوفَ لأحْرَزُوا مُلْكَ الخلائقِ بالخلائقِ والشيـَمْ
ثم انْتَضَوا دون الهـدى أسيافَـهُمْ قَسْراً فعزَّ الدينُ والدنَـــيا بهـمْ

ولما كان المنصور سياسيا بارعا وقائدا عسكريا فذا، فقد راح ابن دراج يشيد به ويفخر بقوته وشجاعته التي قرت بها عيون الأندلسيين، لأن شعار المنصور الذي كان يفخر به دائما هو السيف، ومن ثم غدا (الآخر) المنصور فخر الدنيا وعمارة الأرض وسعدها: [49]

إنْ تَفْخَرِ الدُّنْيَا فأنتَ فَخَـــارُها أوْ تَخْتَرِ العُلْيَا فأنتَ خِيَـــارُها
المجدُ ممنـــــوعٌ بسيـفِكَ عِزُّهُ والأرضُ معمـــورٌ بمُلْكِـكَ دارُها
زُهِيَتْ بذكرِكَ أرضُـــهَا وسماؤها وجرى بسعدِكَ ليلُـــها ونهـــارُها
هُدِيَتْ بهدْيك في الظلامِ نجومُها وسرَتْ بنورِكَ في الدُّجى أقمارُها

إن صورة المنصور في عامريات ابن دراج لهي صورة الحاكم النموذج الذي ينصر الحق ويعلي كلمة الدين، ولذا يراه الشاعر محلقا في فضاء المجد، مرتقيا بسعده نجوم السماء.

وإذا كان المنصور بن أبي عامر عظيما من حيث النسب والحسب فإنه أكثر عظمة من حيث الخُلُق والخَلْق ، ومن ثم نعته ابن دراج في كثير من قصائده بخلال عديدة، فهو كريم جواد، وكيف لا؟، وقد تقلب الشاعر في أحضان نعمته، ففي لوحة بديعة يخلع ابن دراج على ممدوحه لباس الطبيعة حيث الجود والعطاء: [50]

مَنْ ذَا يُنَازِعُكُم أعلامَ مُكْرُمَةٍ والمجـــــــــــدُ مُتَّلِدٌ فيكـــم ومطَّرِفُ
أمْ من يُباريكُم سَبْقَاً إلى كَرمٍ والبرقُ عن شأوِكُم بالعجز معْتَرِفُ

فعطاء المنصور وجوده يفوق عطاء المطر الذي يعيد الحياة إلى الأرض، فالمنصور والمطر متشابهان، بل إن المطر إذا قل عطاؤه أو امتنع فإن عطاء المنصور لا ينفد ولا يقل: (51)

ما أقْلَعُ الغيثُ إلا رَيْثَما خَفَقَتْ مَجَادِحُ الجودِ من يُمناكَ فانْسَكبا

أو قوله: (52)

يا غِيَاثَ العبادِ إنْ بَخِلَ الْمُزْ نُ سَقَاهُمْ وَبْلاً ومَا اسْتَمْطَرُوهُ

ومن خلال المنصور ومآثره التي أعجب بها ابن دراج وراح يصورها في شعره صورة الهيبة التي تتجلى في المنصور قوية، مخيفة للأعداء، مشرقة لرعيته، إذ كان يبسط وجهه عندما يستقبل شعبه، ومن ثم يصف ابن دراج هذا المشهد مع رعيته قائلا: (53)

فدَنَوْا واستَوْقَفَتْهُم هيبةٌ مَلأتْهُم من سرورٍ وزُؤُدْ

ولما كان المنصور (الآخر) يعادل صورة الحاكم النموذج المثال الذي يجب أن يحتذى به، فقد راح يخلع عليه خصالا عديدة أخرى، فهو ملاذ رعيته، بل ملاذ أهل الدنيا جميعا من صروف الدهر ونوائبه، ولذا فقد دانت له الرعية بالولاء والطاعة وشكر المعروف: (54)

وطَالمَا لاذتِ الدُّنيـــا بحقوقِكَ من خَطْبٍ ألمَّ فكنتَ المعْقِلَ الأشبَـــــا
وكيفَ يُخْلِفُ منك الظنُّ ما رَغِبا؟ أو يُعْوِزُ المجدُ في كفَّيك ما طَلَبا؟
وقد غَدَوْتَ لآمَـــــالِ الورى أمَدَاً وقد غدوتَ لأفلاكِ العُـــــلا قُطُبا

أو قوله: (55)

فاسْلَمْ لِعِزِّ الدينِ والدنيا التي أصْبَحَتَ أنْفَسَ ذُخْرِها وعَتَـــادِها
حتَّى تُؤَدِي شُكْرَ سَعْيِكَ أمَّةٌ وَطَّأْتَ في نُعْمَاكَ خَفْضَ مِهَادِها

وإذا تركنا صورة الآخر التي رسمها ابن دراج لممدوحه من حيث النسب والحسب وبعض الخلال والصفات الحميدة، وذهبنا نتحسس صورة أخرى للممدوح تتعلق بالناحية العسكرية والحربية فإننا نرى تنوعا لهذه الصورة، فالآخر (الممدوح) قائد عسكري طالما اتخذ من صهوات الجياد موطئا دائما له، فهو بطل الحرب الهمام، بطل مقدام مغامر، يقتحم المخاطر، ويخوض غمار الحروب، أسد جريء، يقول فيه: (56)

للهِ منكَ إذا الشّفَـــارُ تقاصَرَتْ هِمَمٌ تمرُّ بمَـرِّها أقـــــــــدارُها
يا قائدَ الخيـــلِ العِتاقِ كأنمَا عَزماتُهُ أرماحُـها وشِفَـــــــارُها
ليثٌ يُخَاطِرُ في المَكَرِّ بنفسِه هِمَمٌ عظيمٌ في العُلا أخطـارُها

فابن دراج يرصد صورة المنصور وملامح شخصيته بوصفه قائدا حربيا من الطراز الأول، فهو سيد الحرب، يزداد ثباتا وعزما عندما يشتد وطيس المعركة ويتساقط الكماة، بيد أنه يأبى إلا أن يقارع الموت وينتصر عليه، يقول: (57)

مُشَيَّعِ العَزْمِ بالإقْـــــــدَامِ مُقْتَحِـمٍ لِغَمْرَةِ الموتِ والهاماتُ تُخْتَطَـــفُ
لا يَقْرَعُ السِّنُّ في ضَنْكِ المَكَرِّ إذا تقارعتْ فيه بيضُ الهندِ والحَجَفِ
ففازَ قِدْحُكَ بالفتحِ المبينِ ضُحَىً والكفرُ مُنْتَهَبُ الأقطارِ مُنْتَسَـــفُ
وأُبْتَ بالمَفْخَـــرِ الأسْنَى يُشَيِّدُهُ حَقٌّ بسيفِكَ للإســـــلامِ مُعْتَـــرِفُ

ويفتتن ابن دراج ببطولة المنصور وشجاعته الفردية، حيث يظهر في أحلك الظروف عندما تصافح المنايا النفوس وتغص الحلوق بالموت فإذا به جريء على الأعداء، محبا للمغامرة من أجل النصر، يقول: (58)

فلرُبَّ موقفِ ظَافِرٍ لكَ في الوَغَـــى والخيلُ تعبسُ والبَـــــوارقُ تَبْـتَسِـــمْ
والشمسُ في كبدِ السَّمَـاءِ كأنَّـــــها -والنقعُ يَغْشَاها- كَمِـــــيٌّ مُلتئِـــــمْ
وكأنَّما كِسَفُ العجـــاجِ- إذا التقتْ أُسْدُ الكُمَاةِ-سحائبٌ مَطَـــرَتْ بِدَمْ
ثم اقتحمتَ الحربَ في ضَنْكِ الوَغَى والموتُ في عَلَقِ الجَنَـاجِنِ يَقْتَـحِمْ
حتى انتهيتَ من العِدَا أمدَ المُنـى ومن العلا أسْنى الرَّغَائبِ والقِسَـــم

إن الصورة التي رسمها ابن دراج للآخر(المنصور بن أبي عامر) تزخر في كثير من جوانبها بالشجاعة والبطولة والمغامرة وحب الحرب لدرجة العشق، فهو يتشوق إليها كما يتشوق الظمآن إلى المياه العذبة: [59]

ومُقْتَحِمِ الأَهْوَالِ في حَوْمَةِ الوَغَى كَمَا بَادَرَ الظَّمْآنُ عَذْبَ المواردِ

أو قوله: [60]

حَمِيَتْ جوانحُ صدرهِ شوقاً إلى لَمْعِ الأسنَّةِ في الهجيرِ الحَامي
وشَكَا اعتلالاً حين هامَ تَذَكُّراً نحو الطِّعَانِ ونحو ضربِ الهامِ

وأما صورة الآخر المتمثلة في جيش المنصور وجنوده العامريين الذين باعوا أنفسهم لله ابتغاء طاعة المنصور، فهم أسود في الوغى، يبيعون أنفسهم من أجل الدين: [61]

إن الملاَ بجنودِ الأرضِ قد بَجَحَتْ والجوُّ من رَهَجِ الفرسانِ قد طَفَحَا
بكُلِّ مُعْتَنِقِ الأقْـــــرانِ في كُرَبٍ لوْ زُلزلَتْ قُنَنُ الأَطْـــــوَادِ ما بَرِحَا
شرى من اللهِ نفساً حُزْتَ طاعَتَها فأحرزَ الدينَ والدنيـــــا بما رَبِحَا
كأنهُ في مجالِ الخيلِ ليثُ شَرى وعند مُزدحمِ الفرسانِ قطبُ رَحَى

ولعل علاقة المنصور الوطيدة بجنوده، وحبه لهم، وحبهم له من أجل إعلاء كلمة الدين ورفع رايته كانت سببا في انتصاراته المستمرة. وفي لوحة رائعة لابن دراج يصور فيها الجيش العامري القوي الذي يحب المقارعة، ويشتاق إلى المنازلة، ويملأ الأرض بعدده وعتاده، وعلى رأسه قائده الهمام، يقول: [62]

عُمَّتْ به الأقطـــــارُ إلا مَوْضِعا فيه عدوُّكَ للسيـــوفِ أَسِـيرُ
لَجِبٍ يُغِصُّ الأرضَ وَهْيَ عريضةٌ ويَردُّ غَرْبَ الطَّرْفِ وَهْوَ حَسِيرُ
مِـــن كـــلِّ مِقْـــدَامٍ يكـــادُ طرباً إلى نغمِ السيـوفِ يطـيرُ
فـــــــــــــــؤادُه عبدٌ بطاعةِ حـــــدِّهِ مَأمـورُ
ومُهنَّـدٍ يُزْجِـي المَـــــــنونَ برقٌ سَحابُ الموتِ منه قَطيرُ
كأنـــــــــــــــه قلمٌ تمكَّن من شَبـــــاهُ النورُ
لُجٌّ بَشيرُ النصرِ فيه ســابـــــحٌ بحرٌ بِرَيْعَانِ الجِـــــراءِ يَمُورُ
ومُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعُـوبِ كأنـــــه
وأقَبَّ مصقـــــــولِ الأديمِ كأنـه

فهذه صورة الجيش العامري كما رآها ابن دراج، حيث راح يعكس لنا ما التقطه من صور واقعية في ساحة القتال، فالجيش جرار، يخوض المعركة وكأنه في مجلس أنس، وأفراده البواسل يقدمون على الطعان والمبارزة، يأنسون لأنغام السيوف، والسيوف رهن إشارتهم، والرماح تجلو ظلام الكفر كما يجلو القلم ظلام الجهل، والأقواس تشبه موج البحر الذي يعج بالسفن العظيمة التي لا تتوقف عن الحركة.

والشاعر بارع في قوة التخييل وبراعة التصوير، فتعامل مع أدوات المعركة من أفراد وسيوف ورماح وأقواس بحسه العالي وموهبته الجليلة، وكأننا نشاهد ساحة المعركة وما يدور فيها من كر وفر حتى قال أحد الباحثين:" إن إغرابه في طلب الصورة، ثم محافظته على هذا اللون من الصياغة القوية كان مزجا عجيبا بين طريقة العرب وطريقة المحدثين"[63].

ووصف الحرب بهذه الصورة القوية يجعل الشاعر في مصاف الشعراء الأقوياء؛ لأن مما يجب اعتماده في وصف الحرب:" أن تفخم العبارات وتهول الأوصاف، ويحسن الاطراد في اقتصاص ما وقع من ذلك، وأن تراح النفوس حيث يقع التمادي في ذلك بإيراد معاني تستطيبها، وتبسط ما قبض منها تهويل وصف الحرب".[64]

وعن أدوات الحرب المختلفة يقول ابن دراج واصفا جياده بالظمأى التي تبحث عن الارتواء من دماء الأعداء، وكذلك السيوف اللامعة والرماح التي تستمد قوتها من قوة المنصور، فهي تنتظر الإشارة حتى تطير ملبية نداءه: (65)

ضربتَ بحزبِ اللهِ في الأرضِ مُقْدِمَـــــاً إلى مَتْجَرٍ جنَّـــــــاتُ عَدْنٍ له رِبْحُ
فضَعْضَعْتَ تيجانَ الضَّـــــــلالِ بوَقْعَةٍ على الشركِ لا يُؤْسى لها أبداً جُرْحُ
ورَوَّيْتَ من ماءِ الجَمَاجِـــــمِ والطُّلَـى متونَ جيـــــادٍ شَفَّها الظمأ التَّرْحُ
بوارقَ ما أوْمَضْـــــــــنَ عنك لنَاكثٍ فاخلفَ من سُقيا دمٍ ديمةٌ تسحـو
صفائحُ أعْدَاها سنـــــــــاكَ فأشرقتْ ولم يَعْدُهُنَّ العفْـوُ منك ولا الصفحُ
وزُرْقاً تَعـــــــالى لِلْعُـــــداةِ كأنما تطايرَ من زَنْدِ المنـــــونِ لها قَدْحُ

وفي لوحة أخرى يمزج ابن دراج بين المنصور وأدوات القتال المختلفة حتى أضحى الجميع في علاقة ألفة ومودة، تستمع إليه وتتعلم منه كيفية سلب الأرواح: (66)

وَجَدَ الخيـــــــــلَ تَثْنِي مَرَحَاً فَهَداها لمدي الشَّأْوِ المُجِدّ
ودَعَا السُّمْرَ فَوَافَتْ شُرَّعَـــــاً وظُبا الهندِ فجاءتْ تَتَّقِـــدْ
فكأنْ ما كان للرمـــــــحِ شَبَاً قبلَهُ يوماً ولا للسيـــفِ حَدّ
فرمى عن قوسِ بأسٍ صادقٍ وَسَطا بساعدِ الدينِ الأشَدّ

ويصور ابن دراج جيش المنصور وهو يسرع إلى الطعن والضرب، مشتاقا للموت محبا له، فيقول: (67)

وسَابِحِ الشَّأْوِ ما أقْحَمْتَ هاديَهُ بحرَ المهالكِ إلا غاضَ أو سَبَحَا
طِرْفٍ تَقودُ عِنَانَ الطَّرْفِ غُرَّتُهُ إذا تعالى مُجِدّاً أوْ وَنَى مَرِحَـــــا

والخيول العامرية القوية يصيح بها المنصور فتسرع إلى ساحة الوغى مبدية بلاء عظيما، وحاملة معها الهلاك والدمار لأهل الشرك: (68)

وسَابِحَةٌ في البَرِّ والبحْـرِ لم يزلْ بِبَأْسِكَ في بحرِ الدماءْ لها سَبْحُ
إذا جَمْجَمَتْ يوماً بها منك صولةٌ إلى الشركِ لم يملكْ أعنَّتَها الكَبْـحُ

إن أبرز ما يطالعنا في عامريات ابن دراج صورة المنصور الجهادية، وهو يسير جيوشه ليخوض بها غمار البر والبحر متحملا كل المخاطر من أجل الانتصار العظيم والثواب الأعظم من الله تعالى، والآخر(المنصور) إن أشعل الحرب فلا يخمد لظاها حتى يتم النصر، ويمحو ديار الكفر: (69)

كتائبُ عِـــــــــزِّ النَّصْرِ في جنباتـِها فكلُّ عزيـــزٍ يَمَّمْتَهُ ذليـــــــــلُ
يُسَيِّرُهَـــــا في البــرِ والبحـرِ قائـــــدٌ يسيرٌ عليه الخطبُ وهو جليـلُ
إذا انْشَقَّ ليلُ الحربِ عن صُبْحِ وَجْهِهِ فقد آنَ من يومِ الضلالِ أصيلُ

وهكذا رصد ابن دراج القسطلي ملامح شخصية المنصور بن أبي عامر(الآخر العربي)، الحاكم النموذج، والقائد البطل، والمجاهد العظيم، خاصة وهو يخوض غمار الحروب التي يبغي من وراءها نصر الدين الإسلامي، وتوسيع رقعة الإسلام في الأندلس، وكان من أبرز ملامح تلك

الشخصية القيادة الحكيمة للجيوش، والحب العميق للجنود، والسعي الدائب لنصرة الدين، والشغف الكبير للقتال، والشهوة العارمة لإراقة الدماء.

المبحث الثالث
صورة الآخر الأجنبي

يقصد بالآخر في هذا المبحث العدو الأجنبي النصراني الذي كان يتربص بالمسلمين، ويريد استرداد الأندلس من أيديهم، ومن ثم أطلق عليه العرب عدة مسميات، منها: الروم والفرنجة

والنصارى والمجوس والنورمان، وكان هذا العدو يتمركز في شمال الأندلس – أيام الحكم العامري – في مملكتين وإمارتين، أما المملكتان فهما مملكة ليون، ومملكة نبرة (نافار)، وأما الإمارتان فهما إمارة قشتالة، وإمارة برشلونة.

وكان للأندلسيين في مواجهة هؤلاء الأعداء ثلاثة ثغور؛ الثغر الأعلى ويقع على الحدود الشمالية الشرقية، وقاعدته مدينة سرقسطة، وكانت تواجه إقليم أرغون ومملكة نافار وبرشلونة، والثغر الأوسط ويقع على الحدود الوسطى، وقاعدته مدينة طليطلة، ويواجه مملكتي ليون وقشتالة، والثغر الأدنى ويقع على الحدود الغربية، وقاعدته مدينة بطليوس.(70)

وتبرز صورة الآخر الأجنبي في عامريات ابن دراج بوصفه عدوا للإسلام، ويمثل خطرا عليه، ومن ثم فقد صوره بالذل والجبن والعار، كما راح يصف الغزوات والمعارك والحروب التي شنها المنصور بن أبي عامر وولداه (عبدالملك المظفر وعبدالرحمن شنجول)، ووصف السفارات والوفود التي وفدت على المنصور تطلب منه الصلح والمهادنة، ومن ثم فقد كانت عامريات ابن دراج سجلا حافلا بالوقائع التاريخية والغزوات العسكرية والسفارات الدبلوماسية.

ولكي نوضح ذلك فإننا سنأخذ كل مملكة من ممالك العدو النصراني على حدة، ونتحدث عن ملوكها وقوادها، والغزوات التي خرجت إليها وما حدث فيها، سواء وهم منهزمون، أو وهم واقعون في الأسر، وكذلك السفارات المتبادلة بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية (71). كل ذلك من خلال شعر ابن دراج القسطلي في المنصور بن أبي عامر وولديه، ومما يزيد هذا الشعر قوة ومتانة وصدقا أن الشاعر قد شاهد بعينه كثيرا من تلك الأحداث، بل ورافق المنصور في كثير منها.

أما مملكة ليون فتعد من أقدم الممالك النصرانية في إسبانيا ، وكانت تسمى أيام الفتح الإسلامي بمملكة جليقية وأشتريس، وكان يحكمها في ذلك الوقت الملك(بلاي)، ثم توالى عليها الملوك بعد ذلك حتى جاء ألفونش الثالث(251- 295ه) وقسم ملكه على أبنائه الثلاث ، فولى غرسية ملك ليون، وولى أردون الثاني ملك جليقية، وجعل فرويلا الثاني ملكا على أشتريس.

وأما أشهر ملوك ليون في عهد المنصور العامري وولديه، فهو برمند الثاني(370- 390ه) وولده ألفنش الخامس (390- 418ه) والذي كان يعرف لدى المسيحيين بألفونسو النبيل، وكثيرا ما أشار إليهما ابن دراج في عامرياته، سواء على مستوى الحرب، أو على مستوى السلم.

أما برمند الثاني بن أردون الثالث فقد وصفه ابن دراج بالخيانة ونقض العهود والمواثيق ، ولذا يقول فيه ابن دراج: (72)

وَأخْلَفَ "بِرْمُنْدَ" منها الرَّجاءُ وما زادَهُ الشِّرْكُ إلاّ تَبَارا
أَطَرْتَ إلى ناظِرَيْهِ عَجَاجــاً تركتَ به عَقْلَهُ مُسْتطارا

وكان المنصور بن أبي عامر قد وجه إليه عدة حملات فاضطر برمند الثاني أن يعقد مصالحة مع المنصور، بل وأهداه إحدى بناته لتكون جارية عنده، فأعتقها المنصور وتزوجها، إلا أن برمند ثار على المنصور، وأجار عبدالله بن عبدالعزيز الأموي الذي كان ضمن المتآمرين على المنصور، ولكن المنصور قاد حملة ضد هذا الملك، واحتل (استرقة)، وخرب مملكة ليون سنة 385ه(73)، فقال ابن دراج:

إن تَفْخرِ الدُّنْيا فأنتَ فَخَــــارُهَا أوْ تَخْتَرِ العليا فأنتَ خِيَــــارُها

ثم أشار إلى ما فعلته تلك الحملة في أرض ليون من خراب وتدمير:

أَوْطَأْتَ أرضَ المشركينَ كتائِبــــا فيها وَشِيــــكُ فَنائها ودَمَــارُها
وتركتَ أرضَ "لِيُونَ" وَهْيَ كَأَنَّــها لم تَغْنَ بالأمسِ القريبِ ديــارُها
مرفوعةً لكَ في العلا أعلامُــــها لما غدتْ بك عافــــياً آثارُها
شِيَعٌ حواها حدُّ سيــــفِكَ عنــوةً أضحتْ وعُقْبى الإنتقامِ قُصارُها
وفلولُ من فات الفِرارَ بنفسِــــه جاءتْ يُعاجِلُــــها إليــك فِرارُها
من بعدِ ما عاذَتْ بحفظِ حياتِــها ببروجِ مَنْعٍ للنجــومِ جِــــوارُها
واستعصمتْ بمعاقِلٍ قد أصبحتْ لِلحَيْنِ وهيَ قيــــودُها وإســارُها

ثم أشار ابن دراج إلى خليج "دوير" الذي عبره جنود المنصور:

حتَّى عَبَرْنَ خليجَ "دُوَيْرَ" كأنَّها سُفُنٌ ترامى بالحتـــوفِ بحارُها
بقواضبٍ قُضِبَتْ بِهِنَّ حياتـــها وصوارمٍ صُرِمَتْ بها أعمـــارُها
وكتائبٍ لَّهِجَتْ بِطَيِّبِ ذِكْـــرِكُمْ فَلَذِيذُهُ عند الهيـــــاجِ شِعَـارُها

ثم ذكر ابن دراج في قصيدة أخرى ما فعله المنصور وجنوده عندما غزاه واحتل شنتياقة العاصمة القديمة لمنطقة جليقية سنة 387ه:(74)

أَمَمْتَهُ بجنـــودِ الحقّ فانقلبتْ بِغُرَّةِ الفتـــــــــــحِ من تغييرِ مُنْقَلَبِهْ
وسُمْتَهُ جاحِماً للنارِ ما بَقِيَتْ نفسٌ من الكفرِ إلا وَهْيَ من حَطَبِهْ

ثم أشار ابن دراج إلى فرار برمند في هذه الغزوة متخفيا بظلام الليل:

وعاذ "بِرْمُنْدُ" منهُ بالفرارِ وكَمْ من قبلها عاذ بالأنصابِ من صُلُبِهْ
مستوطِناً مَرْكِبَ الإحجامِ عنكَ وهلْ يعْدُو به وِجْهَةَ المحتومِ من عَطَبِـهْ
مستخفياً بظـــــلامِ الليلِ منك فإنْ وافاهُ صُبْحٌ تَوارى في دُجـــى كُرَبِـهْ

ولعل من أهم غزوات المنصور وأشهرها غزوة شنت ياقب التي وجهها إلى جليقية، وكانت لهذه المدينة شهرة كبيرة، حيث ارتفعت مكانتها في العصور الوسطى بين المسيحيين في غرب أوربا ، حتى أصبحت من أول مراكز الحج للأمم النصرانية، بالإضافة إلى أنها كانت العاصمة القديمة لمنطقة جليقية.(75)

قاد المنصور بنفسه غزوة شنت ياقب سنة 387ه نظرا لأهمية ذلك المكان الذي يعد مزارا للمسيحيين، ومكانا مقدسا لهم، ومع ذلك انتصر المنصور بجيشه في تلك الغزوة، ولم يستطع "ياقب" الدفاع عن مدينته: (76)

وفي " شَنْتِ ياقُبَ" أوْرَدْتَـــــهَا شوارِبَ يَبْغِيـــنَ في البحرِ ثارا
فسِرْتَ هِلالاً تُبَارِي الهـــــــلالَ إليها وبَحْراً يخوضُ البِحـــــــارا
ولم يَسْتَطِعْ" ياقُبٌ" نَصْـــــــرَها ولا دَفْعَ الخَسْفَ عنهُ انْتِصَـــارا
لَئِنْ غَوَّرَتْ في شَغَافِ الشّمالِ لقد أنْجَدَ الفتـــحُ منـــها وغَارَا

ويبدو أن ابن دراج قد شهد هذه الغزوة في سنة 387ه، حيث كان في رفقة المنصور بن أبي عامر كما يفهم من نص للحميدي:(77)

واسْتَيْقَنَتْ شِيَعُ الكفَّـــارِ حيثُ نأتْ في الشرقِ والغربِ أن الشِّركَ من كَذِبهْ
"بِشَنْتِيـــــاقَةَ" لما أن دلفتَ لـــــــهُ بالبيضِ كالبدرِ يسري في سَنا شُهُبـــهْ
وحَلْبَةُ الدينِ والإســـــــلامِ عاطِفَةٌ عليكَ كالفَلَـــــكِ الجـــَــــاري على قُطُبـهْ
حتى فَصَمْتَ عُرى دينِ الضلالةِ من رأسِ القواعدِ ممنـــوعِ الحِمـــى أَشِبِهْ

ثم يشير ابن دراج إلى برمند الثاني حيث يصفه بعمود الشرك الذي يلتف حوله عباد الطاغوت من الأجناس النصرانية المختلفة:

مما اصْطَفَتْ عُبَّد الطاغوتِ واعتقدتْ وشَيَّدَ الكفرُ في الآلاف من حقَبِهْ
عمودُ شِرْكِهِمُ السَّـــــــــامِي ذوائِبُـــهُ والرُّومُ والحُبْشُ والأَفْرَنْجُ من طُنُبِهْ

ثم ذكر ابن دراج مدينة إيلياء التي تبعد عن مدينة شنت ياقب بأربعة وعشرين كيلو مترا من الجنوب الغربي:

و"إيلِيَاءُ" التي كانتْ أَلِيَّـــةَ ذِي جَهْدٍ من الشِّركِ خاشِي الإثْمِ مُرْتَقِبِهْ
رفعتَ منها سَنَا نارٍ أضاءَ لَهُم ما كانَ أَوْدَعَهَا الشَّيْطَـــانُ مِنْ رِيَبِهْ
يَشُبُّهَا منكَ عزمٌ لو وَنَى ضَرَمٌ منها لأَضْرَمَهَا في اللهِ من غَضَبِـهْ

ونظرا لأهمية شنت ياقب وغزو المنصور لها فقد أشار إليها ابن دراج أكثر من مرة، وأشار إلى القلاع والحصون التي فتحها المنصور أثناء تلك الغزوة، ومن ذلك مدينة" لميق" التي ذكرها ابن عذاري، وقال إن المنصور لما فتحها كتب بالفتح منها إلى قرطبة، وأن القوامس(النبلاء) الموالين له اجتمعوا إليه هناك فأجازهم وكساهم وكسا رجالهم وصرفهم إلى بلادهم، وفي ذلك يشير ابن دراج قائلا في ولدي المنصور(عبد الملك وعبد الرحمن): (78)

وراحَا بالمنـــايا فاسْتَبَـــــــــــاحَا ديارَ " لَمِيقُ" غير مُعَرِّدَيْنِ
وقد جاشَتْ جُيوشُ الموتِ فيها بأهْوَلَ من توافِي الأيْهَـمَيْنِ
كَأَنَّ مَجَـــــــــرَّةَ الأفـلاكِ حَفَّتْ بها محفـــــــوفَةٌ بالشِّـعْرَيَيْنِ
وقد زُمَّتْ رِكَابُ الشـــــركِ منها إلى سَفَـــــرٍ وكانا الحَـادِيَيْنِ

وفي هذا يشير ابن دراج أيضا إلى مدينة (كرنة) التي تقع في مقاطعة لاكرونيا وكذلك مدينة(بوغة)، فقال:

وقد خَسَفَا" كُرُنَّةَ" بالعَـــوَالِي و"بُوغَةَ" بادِئين وعائـــدَيْنِ

وفي مملكة ليون أيضا يشير ابن دراج إلى بعض القلاع التي غزاها المنصور بن أبي عامر، ومنها قلعة (لونة) التي فتحها بعد أن اقتحمها بجيوشه، وجعل رماحها قانية من كثرة دماء القتلى: (79)

وأنتَ الذي أوْرَدْتَ" لُونَةَ" قاهِرا خيولاً سماءُ الأرضِ فيها نُحُورُها
وقد لاحَ بالنصرِ العزيزِ لواؤها وأعلنَ بالفتحِ المبينِ بَشِـــــيرُها
وحَلَّتْ حُلُول الليلِ في كل بلدةٍ سَوَاءٌ بها إدْلاَجُـــــهَا وبُكُـــورُها
وقد قَنَأَتْ سُمْرُ القنا بِدِمَائِـــها وغالتْ صُدورَ الدَّارِعِينَ صُدُورُها

كما يشير ابن دراج إلى (قوط) الذي قام ببناء هذه المدينة: (80)

ولا مِثْلَ يومٍ نحو " لُونَةَ" سِرْتَهُ وقد قَنَّعَتْ شَمْسَ النهارِ غَيَاهِبُهْ
فيا لَيْتَ قُوطاً حين شـــادَ بِناءَهُ رآه وقد خَرَّتْ إليـــــــكَ جَوَانِبُهْ
ويا ليت إذْ سَمَّاهُ بَدْرَاً مُعَظَّمَـــاً رآه وفي كِسْفِ الْعجَاجِ مَغَارِبُـهْ

ويشير ابن دراج في قصيدة أخرى إلى " لونة" وأميرها قائلا: (81)

كأميرِ " لُونَةَ" قد تطَّلَعَ إذ دَنَا عبدُ المليكِ إليه في جَيْشٍ لَجِب

أما ألفنش الخامس بن برمند الثاني بن أردون الثالث بن رذمير الثاني الذي يعرف عند المسيحيين بألفونسو النبيل، ومن ثم أشار إليه ابن دراج ونسبه إلى جده رذمير ملك ليون الذي حكم المملكة بين سنتي (390- 418)، فقال: (82)

ودَنَا "ابنُ رُذْمِيرٍ" يُزَلْزِلُ خَطْوَهُ أَمَلٌ تَقَسَّم نفسَـــــــهُ وحِذَارُ
فَفُؤَادُهُ من ذُعْرِ سيفِكَ طائِـــرٌ طَوْراً ومن عَجَلٍ إليك مُطَـــارُ

وفي سنة 385ه يوجه المنصور بن أبي عامر حملة إلى (قريون وشلطانية) التي تفع شرق مدينة ليون، وكان يحكمها (بنو غومس) الذين أعطوا عهود الولاء والطاعة للحكم المستنصر ثم نكثوا بعهودهم، فوجه إليهم المنصور حملته، فجاء القومس(ابن غومس) خاضعا له، وفي ذلك يقول ابن دراج: (83)

جَاءَتْكَ خَاضِعَةً أعناقُها الأُمَـــمُ مُسْتَسْلِمِينَ لِمَا تُمْضِي وتَحْتَـــــــــكِمُ
واسْتَرْهَنَتْكَ ملوكُ الأرضِ أنْفُسَها ما استنفدَ البأسُ أو ما اسْتَدْرَكَ الكرَمُ

وأما قلعة (لنيوش) التي أشار إليها ابن دراج فقد كانت قلعة على جانب كبير من الأهمية، ولكن المنصور بجنوده البواسل قد أمطرها بالرماح : (84)

و" لَنْيُوشُ" أَمْطَرْتَهَا صَائباتٍ تُصِيبُ النفوسَ وتعْفُو الدِّيارا
هَزَزْتَ إليها رِمَـــــاحاً طِوَالاً تُصَيِّرُ أعمارَ قَـــــومٍ قِصَارا
فَغَادَرْتَهَا في ضَمَانِ الإلَـــهِ ويَمَّـمْتَ أعْلَى وأَنْـــأَى مَزَارا

وهكذا وجدنا ابن دراج يتحدث عن الآخر(مملكة ليون) بملوكها وقوادها وغزوات المنصور بن أبي عامر وولديه إليها، ووصف ما حل بها من دمار وخراب.

أما مملكة نبرة (نافار) فكانت تقع شرقي مملكة ليون، وسكانها البشكونس، وكان يحكمها أيام الخلافة الأموية (شانجة بن غرسية) الذي حكمها بين سنتي (290 - 314ه)، ثم ابنه غرسية بن شانجه (314- 359ه) ثم شانجه الثاني (359- 384ه) ثم غرسية بن شانجة(384- 391ه)، وأخيرا شانجة الثالث(391-426ه).

وفي شانجة الثاني بن غرسية الأول ثالث ملوك البشكونس (359-384ه) وكان معاصرا للحكم المستنصر والمنصور بن أبي عامر يقول ابن دراج عن عهود الصلح التي حدثت بين المنصور وشانجة صهره واصفا مراسم الاحتفال والاستقبال الفخم: (85)

وهذا عظيمُ الشركِ قد جاءَ خَاضِعاً وألْقَى بكفَّيْـــــــــهِ إليكَ مُحَكِّـمَا
سليلُ ملوكِ الكُفْرِ في ذِرْوَةِ السَّـنَا ووارِثُ مُلْـــــكِ الرُّومِ أَقْدَمَ أقْدَمَا
توسَّطَ أنْسَابَ القياصِـــرِ فانْتَمَى من الصِّيدِ والأمْلاكِ أقْرَبَ مُنْتَمَى

ولما وفد (غند شلب) ابن ملك البشكونس (شانجة الثاني) السابق ذكره، إلى قرطبة سنة382ه بتكليف من أبيه (شانجة الثاني) ليؤكد عهود الولاء للمنصور، قال ابن دراج: (86)

طَاعتْ لكَ الأحرارُ باسْتعبـــــادِها وأباحَتْ الأملاكُ صَعْبَ قِيـــــادِها
ورَمَى ابنُ شَنْجُ إليكَ نَفْسَ مُحَكِّمٍ نَهَجَ الخضوعُ لها سبيلَ رَشَادِها

وأما غرسية بن شانجة ملك نبارة (384-391ه) فقد ذكره ابن دراج في أكثر من موضع في ديوانه، وخاصة عندما ائتلف المسيحيون من الممالك المختلفة وحاربوا المنصور بن أبي عامر بقيادته، فانتصر عليهم المنصور واقتحم أرض " بنبلونة" وخربها، وتعرف هذه المعركة بموقعة " جربيرة" سنة 390ه: (87)

فَضَعْضَعْتَ تِيجَانَ الضَّلالِ بِوَقْعَةٍ على الشِّرْكِ لا يُؤْسَى لها أَبَداً جُرْحُ
وَرَوَّيْتَ من ماءِ الجماجِمِ والطُّلَى مُتُونَ جيادٍ شَفَّهَا الظَّمَـــــــأُ التَّرْحُ

ويصور وقع الهزيمة على غرسية بن شانجة ويصفه بـ " عميد الشرك"، لأن المملكة وصلت في عهده إلى أوج عظمتها، وكان قد تزوج من بنت سميه ومعاصره شانجة بن غرسية بن فرذلند قومس قشتالة، واحتل جزءا كبيرا من إمارته باسم زوجته، فقال ابن دراج واصفا إياه: (88)

فتِلْكَ نَفْسُ "ابنِ شَنْجٍ" لا مآلَ لها من مِيتَةِ السَّيْفِ أو عيشٍ على نَكَدِهْ
وقد تركتَ "ابنَ شَنْجٍ" فلَّ مُعْتَـــرَكٍ إنْ لم يَمُتْ من ظُبَاهُ ماتَ من كَمَـــدِهْ
مُشَرَّداً في قَواصِي البِيدِ مُغْتَرِبَـــاً وقد مَلأتَ فِجَـــــاجَ الأرضِ من خُرُدِهْ

وفي سنة 389ه يوجه المنصور حملة إلى بنبلونة التي كان يحكمها الملك غرسية الثاني بن شانجة، وفيها يقول ابن دراج: (89)

وقريتَ عليا " بَنْبِلُونَةَ" عَزْمَةً هَبَّتْ عليها من مَهَبِّ رِياحِها

ولما ورد الخبر على المنصور بن أبي عامر بأن خيلا لغرسية بن شنج ملك البشكونس (نبارة) ظهرت على أهل" قلعة أيوب" وقتلهم أخا واليها حكم بن عبد العزيز التجيبي وقومه معه، فقد أمر المنصور بضرب أعناق من كان في أسره بقرطبة من فرسان ابن شنج وأقاربه الأشراف الذين ظفر بهم في مدينة (أونة قشتيل) وغيرها من بلاد بنبلونة، وركب ابنه عبد الرحمن إلى باب السدة بقصر قرطبة وضرب بين يديه رقاب خمسين رجلا منهم صبرا، وقتل عبد الرحمن بيده شريفا منهم وهم أخواله.(90)

وقد أشار ابن دراج إلى أحد الأمراء الذين استقلوا بإحدى الإمارات المسيحية المجاورة لمملكة نبرة ويدعى (فرذلند) وكان غرسية يريد أن يضم إمارته إلى مملكته، ولكن المنصور رد إليه إمارته فاعترف له فرذلند بالخضوع والطاعة: (91)

و" فِرْذِلَنْدُ" رَدَدْتَ المُلْكَ في يَدِهِ ومَا رَجَا غيرَ رَدِّ الروحِ في جَسَدِهْ
شِبْلٌ دَعاكَ لِأُسْـــــــدٍ فَوقَهُ لِبَدٌ فَأَقْشَعَتْ عنه والأظْفَـــارُ في لِبَدِهْ
وطَارَ نَحْوَكَ سَبْحَاً في مَدَامِعِهِ وقَدْ تَزَوَّدَ مِلْءَ الصـــدرِ من زُؤُدِهْ
ثُمَّ انْثَنَى وملوكُ الشِّرْكِ أعْبُدُهُ إذ جاءَ عَبْدَ يَدٍ ألقـــــــى لها بِيَدِهْ

وعن أرض بنبلونة، وكنيسة أو دير " شنت اقروج" يقول ابن دراج: (92)

فتلكَ الرُّبَى من " بَنْبِلُونَةَ" والحِمى من الرَّاحِ مُسْوَدٌّ بأرجائِهِ الصُّبْحُ
وَبِيعَةُ" شَنْتَ اقْرُوجَ" أوْرَيْتَ فَوْقَها سَنَا لَهبٍ فيه لعَمْيَائِـــــها شَرْحُ
وكان لها الفِصْحُ الأجَلُّ فأصبحتْ لنارِكَ فِصْحَاً ما لها بعدهُ فِصْحُ

وفي غزوة جليقية أيضا يقول ابن دراج: (93)

هَزِجٍ يكادُ يَبينُ في نَغماتِـــــهِ وَيْلاكَ يا" غَرْسِيَّةُ" المغـــــرورُ
أينَ النَّجاءُ وقد أظَلَّكَ مُغْضَباً ليثُ العرينِ الحَاجِبُ" المنصورَ"؟

وهكذا يبرز ابن دراج القسطلي في عامرياته صورة مملكة نبرة وملوكها ومدنها وقلاعها وحصونها في صورة الخوف والهلع من الجيش العامري، مما اضطرهم في كثير من الأحيان أن يبرموا عقود الصلح مع المنصور خاضعين له، طالبين من العفو والمسامحة.

وأما إمارة" قشتالة" التي أصبحت فيما بعد مملكة، وكانت تعرف بالقلاع، فكان يتولاها أثناء الحكم العامري" غرسية بن فردينانذ جونثالث (360- 385ه)، ثم ابنه" شانجه بن غرسية بن فرذلند(385-407ه).

وتبرز شخصية غرسية بن فرذلند قومس قشتالةعندما يتحدث ابن دراج عن القلاع المسيحية التي فتحها المنصور، ومنها شنت اشتيبنا وقلنية وكانتا من أمنع خطوط الدفاع عن إمارة قشتالة والهجوم منها على الأندلس، كما استطاع المنصور أن يخرب أبله(94). ولذلك قال ابن دراج: (95)

وتركتَ"شَنْتَ اشْتِيبَناً" وكأنَّـما حطَّتْ سيوفُكَ من عِداها الفَرْقَدَا
فَقَصَرْتَ مُدَّتَهَا بِوَقْفَةِ سَاعَـــةٍ أبْقَتْ لكَ الفخرَ الجليـــلَ مُخَلَّدَا
شيَّدْتَ عزَّ المسلمينَ بِهَدْمِ ما قد كان عِزُّ الكفرِ منها شَيَّـــــدَا
وتركْتَ" غَرْسِيَّةَ" بنقمـةِ غَدْرِهِ بالرَّوْعِ في الأرضِ الفضاءِ مُقَيَّدَا
لهفانَ يَجْتَابُ النهـــارَ مُرَوَّعاً بِظُبَاكَ واللَيلَ التمـــــــامَ مُسَهَّدَا

وكانت هذه الغزوة عقابا على إيوائه عبد الله بن المنصور الثائر على أبيه قبل ذلك بقليل ؛ على أن غرسية رغم ذلك عاود الهجوم في العام التالي على الثغور الإسلامية الواقعة على ضفاف نهر دويره، فسار المنصور لغزو بلاده مرة أخرى وانتهى الأمر بأن أسر المسلمون غرسية سنة 385ه وأمر المنصور بحمله إلى قرطبة غير أنه توفي بعد ذلك بأيام، وفي ذلك يقول ابن دراج: (96)

فَيَهْنِ الدينَ والدُّنْيَـا بَشِيرٌ " بِغَرْسِيَةَ" الأعَادِي والعَدَاءِ
بصُنْعٍ أعجزَ الآمالَ قِدْمَاً وقَصَّرَ دونَهُ أمدُ الرجـــــاءِ

ويصف ابن دراج غرسية وأسره:

أسِيرٌ ما يُعَادَلُ في فكـــــاكٍ وعانٍ ما يُسَاوَي في فِداءِ
هو الدَّاء العَيَاءُ شَفَيْتَ منه فماً للدِّينِ من داءٍ عـياءِ

وفي القصيدة نفسها تصوير رائع لشخصية غرسية لا يخلو من إعجاب به، فأشاد ابن دراج بفروسيته وشجاعته وصلابته ودهائه وجلالة قدره وسمو مكانته ومنزلته(97)، ولذلك يقول فيه ابن دراج:

حَمَى شِيَعَ الضَّلالِ فَأَهَّلَتْهُ لِمِلْكِ الرِّقِّ منـــها والولاءِ
زعيمٌ بالكتائـــب والمَذَاكِي ثِمَالٌ للرَّعايا والرِّعَـــــــاءِ
مُبَارِي سيْفِهِ قَدَماً وبأْساً ومشفوعُ التجاربِ بالدَّهـاءِ

ثم ينعاه إلى ملوك الروم والإفرنج:

وأسْلَمَهُ إلى الإسلامِ جيشٌ أغَصَّ بِجَمْعِهِ رَحْبَ الفَضَـاءِ
لَئِنْ خَذَلَتْـهُ أطرافُ العَوَالِي لقد آساهُ إعوالُ البُكَـــــــاءِ
بكُلِّ مُرَجِّعٍ للنَّوْحِ يُشْجِـــي بَوَاكِيَهُ بتَثْويبِ النِّـــــــداءِ
نَعَاءِ إلى مُلوكِ الرُّومِ طُرَّاً ذَوي التِّيجانِ" غَرْسِيَةً" نَعَاءِ
وهلْ للرُّومِ والإفْرَنْجِ منـهُ -وقد أودى-سِوى سُوءِ العزاءِ

ويشير ابن دراج في كثير من عامرياته إلى الأماكن الي حدثت فيها معارك، وفتحها المنصور، سواء كانت مدنا أو حصونا أو قلاعا، ومن ذلك حصن " بربديل" في قوله: (98)

لا مِثْلَ " بَرْبَدِيلَ" يوم حَوَيْتَـــها فَخْراً أغارَ على الزمانِ وأنْجَـــدَا
جَرَّدْتَ للإسلامِ فيها صَـــــارِما عَوَّدْتَهُ ضَرْبَ الطُّلَى فَتَعَـــــوَّدا

وسَلَلْتَـــــــــــــهُ لله فيها سَلَّـةً مَنَعَتْ صليباً بعدها أن يُعْبَـــــدا
ووقفتَ دون الدَّيْرِ فيها وَقْفةً كانت لنصرِ اللهِ فيها مَوْعِـــــدا

وكذلك قلعة" قلنية" التي كانت من أمنع خطوط الدفاع عن مملكة قشتالة:

و" قُلُنْيَةٌ" أنشأتَ فيها عارضاً للحربِ أبرقَ بالحتـــــوفِ وأرْعَدا

ويبدو أن ابن دراج قد شهد هذه المعركة ورآها بعينه:

وّبِرَأْيِ عَيْنِي يومَ خُضْتَ لِفَتْحِهَـا بَحْراً من البيضِ الصَّـوارمِ مُزْبِدَا
فرأيتُ ما اسْتَنْزَلْتُ من نجمٍ هَوَى وشَهِدْتُ ما حُدِّثْتُ عن لَيْثٍ عَدَا

ولما وفد شانجه بن غرسية بن فرذلند سنة382ه إلى حضرة المنصور بن أبي عامر يطلب صلح المنصور ويدفع له الجزية، لأن المنصور ساعده في الثورة التي أعلنها ضد أبيه شانجه ردا على ما قام به غرسية من تحريض عبد الله بن المنصور على أبيه، وإيوائه له عندما أعلن الثورة، فقال ابن دراج: (99)

إليكَ منكَ فِرارُ الخائفِ الوَجِـلِ وفي يديكَ أمانُ الفارسِ البطـــــلِ
تقابلتْ نَحْوكَ الآفاقُ واجْتَمَعَتْ على يمينكَ شَتَّى الطُّرْقِ والسُّبُلِ
وَيَمَّمَتْكَ ملوكُ الأرضِ مُعْلِمَةً إليكَ نَصَّ نجاءِ الخيـــــلِ والإبلِ

ثم يشير إلى وفادة شانجه:

وقد تَيَمَّمَ" شَنْجٌ" منكَ عائدةً تُجيرُهُ من ســــــيوفِ الكَرْبِ والوَهَلِ
وقادَ نَحْوَكَ والتوفيقُ يَقْدُمُهُ جيشاً من الذُّلِّ مِلْءَ السَّهْلِ والجَبَلِ

ويشير ابن دراج إلى " فرذلند" وخضوعه للمنصور، ويذكر قشتلة: (100)

وَلَقَبْلُ أيْقَـــــــنَ" فِرْذِلَنْدٌ" ما لَهُ إلا إليكَ من الحِمَـــــــامِ فِرَارُ
فهُناكَ أُخْلِصَتِ النُّفُوسُ وأُكِّـدَتْ عُقَدُ العُهُودِ وشَدَّتِ الأنْصَـــارُ
وَبَسَطْتَ من " قَشْتِلَّةٍ" يَدَ آمِنٍ لِرِضَاكَ فيها يَارَقٌ وسِـــــــوَارُ

وأخيرا تأتي إمارة " برشلونة" (قطلونية) التي كانت تقع شرقي الأندلس، وقد غزا عبد الملك المظفر حصن " ممقصر" الذي يعد من أهم حصون برشلونة، وفتحه عنوة، وأسكنه المسلمين، ولابن دراج قصيدة في عبد الملك بعد عودته من فتح هذا الحصن، سنة 393ه، يقول فيها: (101)

لِتَهْنِئْ سلامتُك المسلميـــــنا وتَفْدِكَ أنْفُسُـــهُمْ أجمعينا
غَزَوْتَ فَأُعْطِيتَ نَصْرَاً عَزِيزَاً وَصُلْتَ فَوُفِّيتَ فتحاً مُبينا

وهكذا استطاع ابن دراج أن يصور الآخر في عامرياته عن طريق ذكر الممالك النصرانية في شمال الأندلس، وكانت تمثل خطرا على الإسلام والمسلمين في بلاد الأندلس، كما أشار في كثير من قصائده إلى الملوك والقواد والأمراء الإسبان بوصفهم الآخر الأجنبي، كما أكثر من ذكر الأماكن التي دارت عليها المعارك المختلفة بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، وخاصة الغزوات التي قام بها المنصور بن أبي عامر وولداه، ووصف السفارات والوفود المتبادلة بين المعسكرين.

الهوامش والحواشي

1-ابن منظور: لسان العرب، 248/1، دار المعارف
2-جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1984/2، ص 136
3-المرجع نفسه، ص2.
4-د.أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط1، 2009، ص91.
5-د.عبد الرحمن محمد عيسوي: اتجاهات جديدة في علم النفس الحديث، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، 1981، ص113.
6-أنس شكشاك: أسرار الشخصية وبناء الذات، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2009، ص 3
7-سيمون فرويد: الأنا والهو، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط4، 1982، ص 17.
8-د.زكريا إبراهيم: مشكلة الإنسان، دار مصر للطباعة، د.ت، ص153.
9-ديوان ابن دراج، تحقيق: د.محمود علي مكي، المكتب الإسلامي بدمشق، ط1، 1961م، ص13.
10-محمد دواليبي: التجربة الشعرية عند ابن دراج القسطلي، رسالة دكتوراه، جامعة حلب، 2004م
11-ديوان ابن دراج، ص 298.
12- د/أشرف دعدور: الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي، نهضة الشرق، القاهرة ،1994،ص 304.
13-الشقندي: فضائل الأندلس وأهلها، دار الكتاب الجديد، بيروت،1968، ص 36.
14-ديوان ابن دراج، ص 298.
15-السابق، ص 14.
16-السابق، ص536، 537.
17-السابق، ص 558، 559.
18-د/أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، ص 326.
19-ديوان ابن دراج، ص 298.
20- د/أشرف دعدور: الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي، ص 302.
21-سراج الدين محمد: الفخر في الشعر العربي، سلسلة المبدعون، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، د. ت. ط، ص5.
22-حنا الفاخوري: الفخر والحماسة، دار المعارف، القاهرة، ط5، د.ت، ص9.
23- ديوان ابن دراج، ص 310. والضحضاح: الماء اليسير في الغدير وغيره.
24- السابق، ص 359.
25-السابق، ص 366.
26-السابق، ص 365.
27-السابق، ص 426.
28-السابق، ص 300، 301.
29-السابق، ص434.
30-السابق، ص 440.
31-السابق، ص460
32-السابق، ص 355
33-السابق، ص422.
34-السابق، ص 366.
35-السابق، ص365.
36-السابق، ص 366.
37-السابق، ص 423.

38-لسان العرب 1/ 87.
39-المعجم الوسيط، مادة: أخر، 1/ 8.
40-مي عودة أحمد ياسين: الآخر في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، كلية الدراسات العليا، ص6.
41-ديوان ابن دراج، المقدمة، ص 48.
42-السابق، المقدمة، ص48.
43-السابق، ص 379
44-السابق، ص 14.
45-السابق، ص 301
46-المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ص 38
47-ديوان ابن دراج، ص 17
48-السابق، ص 422
49-السابق، ص 408، 409
50-السابق، ص 358
51-السابق، ص 364، المجادح: الأنواء.
52-السابق، ص 429
53-السابق، ص 371، الزود: الرهبة والخوف.
54-السابق، ص 368
55-السابق، ص 434
56-السابق، ص 409
57-السابق، ص 361، 362، الجحف: التروس المصنوعة من الحبال.
58-السابق، ص 421، 422، الجناجن: عظام الصدر.
59-السابق، ص 407
60-السابق، ص 425
61-السابق، ص 400، بجح بالشيء: فرح به وافتخر.
62-السابق، ص 393
63-إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص 241.
64- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء، ص 306.
65-ديوان ابن دراج، ص 388
66-السلبق، ص 369
67-السابق، ص 400
68-السابق، ص388، جمجم الرجل: لم يبين كلاما.
69-السابق، 7
70-د.فوزي عيسى: صورة الآخر في الشعر العربي، مركز البابطين ، الكويت، 2011م، ص 146
71-ينظر حول علاقة ممالك إسبانيا المسيحية وحكام الأندلس الإسلامية: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا المسيحية، ص193-263.
72-ديوان ابن دراج، ص460، وينظر حول هذه الغزوة التي وجهها المنصور إلى مملكة ليون: ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، 2/ 246، وهامش ديوان ابن دراج الأول، ص408.
73-ديوان ابن دراج، ص408.
74-السابق، ص442
75-ينظر في غزوة شنتياقة أو شنت ياقب: البيان المغرب لابن عذاري 2/ 313-316، تاريخ إسبانيا الإسلامية 246/2، وهامش ديوان ابن دراج، ص371، 372، 440، 441. وأعمال الأعلام لابن الخطيب ، تحقيق: ليفي بروفنسال، ص 67
76-ديوان ابن دراج، ص406
77-السابق، ص441.
78-السابق، 374، 375، ولمزيد من التعرف على كرنة وبوغة ينظر هامش 2، 3 من نفس الصفحتين.
79-السابق، ص22، وينظر حول هذه الغزوة: هامش 1 ص22، وتاريخ إسبانيا الإسلامية، 2/ 287.
80-ديوان ابن دراج، ص24، 25.
81-السابق، ص36.
82-السابق، ص155، وللتعرف أكثر على" ابن رذمير" ملك ليون، هامش الصفحة نفسها.

83-السابق، ص402، وينظر في هذه الوفادة وغزوة جربيرة، هامش هذه الصفحة، وتاريخ إسبانيا252/2
84-السابق، ص462، وللتعرف على قلعة لينوش ينظر هامش هذه الصفحة الثاني.
85-السابق، ص396.
86-السابق، ص432، 433، وينظر في وفادة غند شلب، هامش ص432.
87-السابق، ص388، وينظر في هذه الوقعة: أعمال الأعلام ص96، وتاريخ إسبانيا الإسلامية254/2.
88-السابق، ص149، 150.
89-السابق، ص384، وينظر في غزوة بنبلونة سنة389، هامش ص381، 382 من الديوان.
90-السابق، ص427-429.
91-السابق، ص150.
92-السابق، ص391، وينظر هامش الصفحة للتعرف على دير" شنت افروج".
93-السابق، ص394.
94-ليفي بروفنسال: تاريخ إسبانيا الإسلامية، 244/2، هامش 1، ص15 من الديوان.
95-ديوان ابن دراج، ص455، 456.
96-ينظر هامش ص435، 436 من الديوان.
97-د. فوزي عيسى: صورة الآخر في الشعر العربي، ص 166
98-ديوان ابن دراج، ص454، ولمزيد من التعرف على حصن بربديل وقلعة قلنية، ينظر هامش الصفحة.
99-السابق، ص413، 414.
100-السابق، ص155.
101-السابق، ص450.

الخاتمة

تمخض هذا البحث عن عدة نتائج؛ منها:

- يعد ابن دراج في عامرياته من ألمع شعراء الأندلس، حيث يعد شعره وثيقة تاريخية وأدبية حافلة بالوقائع التاريخية والغزوات العسكرية والسفارات الدبلوماسية سلطت الضوء على فترة مهمة من فترات المسلمين بالأندلس.
- شكلت ظاهرة الأنا والآخر التي لفتت انتباه الفلاسفة وعلماء النفس ونقاد الأدب وجودا حيا في شعر ابن دراج، حيث استطاع بمقدرة فنية بارعة أن يستجلي آفاقها ويرصد ملامحها من خلال عامرياته.
- تجلت ظاهرة الأنا الشعرية عند ابن دراج من خلال الواقع الذي يعيشه والطموح الذي يسعى إليه، والمعاناة التي لاقاها في سبيل تحقيق المجد الأدبي والحياة المادية، كما ظهرت عنده نزعة الاعتزاز والأنا المتورمة في بعض عامرياته، ولكن على استحياء.
- تأثرت أنا الشاعر بأوضاع داخلية مصدرها الذات التي تتعلق بالماضي، أو تقلق من المستقبل، أو تتأثر بأوضاع خارجية تصطدم بها.
- أظهر البحث اتحاد الأنا مع الآخر القريب من خلال اندماج الشاعر مع زوجته وأولاده، ومن خلال علاقته بالحاكم العامري.
- صور الشاعر الآخر العربي(المنصور بن أبي عامر) من خلال نسبه وحسبه وطموحه الذي لا حد له، حيث تجلى ذلك في إبراز صورة المنصور الحاكم العامري بالحاكم النموذج والقائد المثال والبطل المغوار.
- مثل الآخر الأجنبي بكل أطيافه: ممالك النصارى في شمال الأندلس وملوكها وقوادها وسفرائها حضورا فنيا في عامريات ابن دراج، حيث صور المعارك التي دارت بين

الحاكم العامري وتلك الممالك، وسجل انتصار المسلمين، وكثيرا من الأماكن الأجنبية التي شهدت غزوات المنصور وانتصر فيها.

المصادر والمراجع

- ابن الأبار: الحلة السيراء، تحقيق: د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1963م
- ابن الخطيب: كتاب إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م
- ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979م.
- ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، نشر السيد عزت العطار، طبع القاهرة، 1955 م
- ابن حزم وابن سعيد والشقندي: فضائل الأندلس وأهلها، دار الكتاب الجديد، بيروت،1968م
- ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن حجي، دار الثقافة، بيروت، 1983م
- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م
- ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري وآخرين، دار العلم للملايين، بيروت، 1955
- ابن دراج : ديوان ابن دراج، تحقيق: د. محمود علي مكي، المكتب الإسلامي بدمشق، ط1، 1961م.
- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج1 ،2، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط1، دار المعارف، مصر، 1955م
- ابن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، دار المعارف، بيروت، 1975م
- ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق:ج س كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط5، 1998م
- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عامر حيدر، عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م
- أبو الوليد الحميري: البديع في وصف الربيع، عناية: هنري بيريس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2002م
- إحسان عباس(دكتور): تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، دار الشروق، عمان، ط2، 2008م
- أحمد ضيف(دكتور): بلاغة العرب في الأندلس، دار المعارف، تونس، ط2، 1998م
- أحمد هيكل(دكتور): الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، ط 15، 2008م
- أحمد ياسين السليماني(دكتور): التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق ، سوريا، ط1، 2009
- أشرف دعدور(دكتور): الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي، نهضة الشرق، القاهرة، 1994م

- أنس شكشاك: أسرار الشخصية وبناء الذات، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2009
- بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة الدكتور حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1951م
- الثعالبي: يتيمة الدهر، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م
- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978م
- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م
- حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001م
- الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: د. روحية السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1979م
- حنا الفاخوري: الفخر والحماسة، دار المعارف، القاهرة، ط5، د.ت
- رجب محمد عبد الحليم(دكتور): العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا المسيحية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- زكريا إبراهيم(دكتور): مشكلة الإنسان، دار مصر للطباعة، د.ت.
- سراج الدين محمد: الفخر في الشعر العربي، سلسلة المبدعون، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، د. ت.
- سيمون فرويد: الأنا والهو، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط4، 1982، ص 17.
- الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، شرح: د.صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2005م
ط 1، 2010م
- عبد الرحمن محمد عيسوي(دكتور): اتجاهات جديدة في علم النفس الحديث، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، 1981
- عبد اللطيف الحديدي(دكتور): بين الأنا والآخر في مدحيات المتنبي، جامعة الأزهر، مصر، ط1، 1988م
- علي محمد سلامة: الأدب العربي في الأندلس، الدار العربية للموسوعات، بيروت 1989
- غرسية غومث: مع شعراء الأندلس والمتنبي، سير ودراسات، ترجمة: د. الطاهر مكي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط7، 2004م
- غرسية غومس: الشعر الأندلسي، ترجمة الدكتور حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1956م
- فوزي عيسى(دكتور): صورة الآخر في الشعر العربي، مؤسسة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2011م
- الكتاني: كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، ط3، 1986م
- ليفي بروفنسال: تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية، ترجمة: علي عبد الرؤوف البمبي، علي إبراهيم المنوفي، السيد عبد الظاهر عبد الله، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م
- ماجدة حمود(دكتور): صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاف، بيروت

- محمد الخباز: صورة الآخر في شعر المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2009م
- محمد عبد الله عنان: الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية، مطبعة مصر، القاهرة، ط1، 1958م
- المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م
- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شرح: د. مريم قاسم طويل، د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م
- وسام قباني: عامريات ابن دراج القسطلي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011م
- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ط1، مصر، 1906م

الدوريات والرسائل الجامعية

- بلال سالم الهروط: صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، 2008م
- روضة بلال المولد: الاغتراب في حياة ابن دراج وشعره، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2007م
- سعد سامي محمد: الأنا والآخر في المعلقات العشر، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2012م
- عائشة الدرهم(دكتور): العاطفة الأسرية في شعر ابن دراج، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، العدد الخامس عشر، 2003م
- عبد الله بن محمد الأسمري: الأنا والآخر في شعر محمد الفهد العيسي، رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالمية، دولة ماليزيا، 2014م
- محمد دواليبي: التجربة الشعرية عند ابن دراج القسطلي، رسالة دكتوراه، جامعة حلب، 2004م
- مي عودة أحمد ياسين: الآخر في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، كلية الدراسات العليا.
- نوال براك الثمالي: الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.